مصطفى محمود



سكندر الأكبر

دار المعارف

مصطفى محمود

الإسكندر الأكبر

مسرحية من أربعة فصول

الطبعة الرابعة



دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

شخصيات المسرحية

- الإسكندر .
- بارمينو .
- برديكاس
- هيفستيون } قوّاد فى جيش الإسكندر
- بطليموس .
- كليتوس .
- فيلوتاس : ابن بارمينو وضابط فى جيش الإسكندر .
- أجيس : شاعر .
- أناكسارخوس : فيلسوف .
- كاليستين : مؤرّخ .
- تيبيرا : جارية .

- عرّافون .
- جوارى .
- جنود وضبّاط آخرون .

الفصل الأول

(سنة ٣٣٢ قبل ميلاد المسيح .

معبد آمون بواحة سيوة .

المنظر على المسرح مقسوم نصفين . . نصف يكشف داخل معبد آمون فى واحة سيوة . . والنصف الآخر خارج المعبد حيث واحة سيوة بنخيلها وعيونها وكثبانها الرملية . . والنصف المضاء الآن هو داخل المعبد بينما النصف الآخر مظلم وغير ظاهر . والمعبد على الطراز الفرعونى بجدرانه الملوّنة المنقوشة بالرسوم الفرعونية . وأعمدته الاسطوانية المتوّجة بزهرات اللوتس . الأرضيّة تتوسّطها رقعة مستديرة . . يقوم عليها المحراب . . أشعة الشمس تدخل من النوافذ وسدنة المعبد يحرقون البخور وخدم الإله ملتفّون حول المحراب يرتّلون .

عذارى يعزفن على الناى والهارب) .

خدم الإله يرتّلون : آمون يا رب الوجود . .

يا من له المجد والخلود . .

طائفة أخرى : يا عظيم يا مهاب . .

طائفة ثالثة : آمون يا واهب الحياة . .

(يدخل الكاهن الأكبر «ماساهرتا» . . رجل فى السبعين . . جليل مهيب . . يمشى فى خطوات ثابتة إلى المحراب . . يفسح له الخدم طريقه . . ويلوذ الجميع بالصمت حينما يبدأ صلواته إلى آمون .) .

ماساهرتا : **(مخاطباً الإله فى صوت عميق النبرات) :**

أيها الإله المبجّل سيّد كل الآلهة «آمون رع» . . المحبوب المهاب القوى فى إشراقه . .

القمر والنجوم والسموات والأرض صنع يديك . . الكل رهن مشيئتك . .

لك الأعين الكثيرة التى ترى بها كل شىء . . والآذان العديدة التى تسمع بها كل شىء . .

منذ مشرق الصباح الأوّل وأنت الشمس باعث النور والحياة حيثما حللت . . تخترق السماء من مشرقها إلى مغربها حيث تدركك شيخوخة المساء ، ثم تعود صبيًّا من جديد فى الصباح وكل صباح إلى أبد الآبدين . .

ربّ الحياة يا من تصوغ نفسك بنفسك منذ الأزل . . محيط الأرض تحت نظرتك . . الأرزاق من فضلك . . النيل من فيضك . . البشر من دمع عينيك . . الآلهة من كلماتك . . الكل ينحنون أمامك ركّعًا من رهبتك . . أنت اللهيب على أعدائك . . والأسد المفترس ذو القرنين الحادّين الذى ترتعد الأرضون لقوّته . . والأبدىّ الذى

يقطع السنين دون أن ينتهى أجله . .
الواحد الأحد والأول والآخر الذى لا شىء قبله . .
الظاهر كأظهر من كل ظاهر وأخفى من كل خفى . . السرى
العظيم السرية فى ولادته وفى صورته التى برئت من كل
الصور . .
مانح الحياة وبارىء الأرض وملك الوجه القبلى والبحرى
ورئيس الكرنك . .
تشرح القلب الذى يعظّمك . . وتسرّ النفس التى تنطق
باسمك . .

(ينتهى الكاهن الأكبر من صلاته .
يمرّ السدنة أمام المحراب واحدًا واحدًا ويقومون بشعائر الصباح ويتناولون الماء المقدّس . ويلبث حابى «أحد الكهنة» واقفاً فى مكانه وقد بدا عليه التذمّر . .
لقيمات يوزعها على سدنته .)

حابى : (يرفض نصيبه قائلاً فى حزن) :
لن أمس خبز الإله ولا قربانه . . إن آمون حامينا وراعينا
قد كفّ عن حمايتنا ورعايتنا وترك بلادنا ينهبها ذلك
الغازى المقدونى وأقامه علينا فرعونًا فى منف ليحكمنا
ويسومنا العذاب . . إن إلهنا قد تخلّى عنّا . .

ماساهرتا : ما هذه الضلالات التى تنطق بها يا ولدى ؟

حابى : (فى حزن) إن إلهنا قد تخلّى عنّا .

(يتجه إلى المحراب ويركع رافعًا وجهه الحزين وقد عقد ذراعيه مخاطبًا الرب فى عتاب) :

. . . إلٓهنا . . . لماذا تخلّيت عنّا . ماذا فعلنا نحن رعيتك وعبيدك وسدنتك وخدمك . . . هل قصّرنا فى عبادتك . هل تأخّرنا عن قرابينك ؟ ألم نقدم لك الخبز والفطائر والعسل . . ألم نملأ مخازنك بالقمح والجعّة والنبيذ وأوانى الزيت . . ألم نحرق البخور عند قدميك . . لماذا تخلّيت عنّا وسلّمت رقابنا لذلك المقدونى ؟

ماساهرتا : هذا ضلال يا ولدى . . إنها مشيئة الإلٓه ولا اعتراض على مشيئة الإلٓه . .

حابى : أيمكن أن تكون هذه مشيئة الإلٓه . . أنعبد من هذه مشيئته . . أنقدم القربان لمن يقدّمنا قربانًا للغير . أهو مصرى ذلك الإلٓه أم مقدونى ؟

ماساهرتا : (فى جزع) هذا ضلال يا ولدى . . هذا ضلال كبير .

حابى : غفرانك أبتاه . ولكنى فقدت رشدى فقدت صوابى . . فارقتنى سكينة القلب .

ماساهرتا : لقد فقدت نفسك نظامها يا ولدى وزلزلت روحك منذ أن فقدت صلتك بالإلٓه . . عد إلى نفسك .

(يربت على كتفه فى حنان)

حابى : وكيف أعود ؟

ماساهرتا : وهل نفهم نحن من نظام الدنيا شيئًا حتى نحكم على خالقها ذلك الذى يحيط بالزمان كله بين يديه . . وما هو كل عمرنا . . ستون عامًا من عمر الأبدية . . من اللانهاية . . وكيف نحكم على رواية لم نشاهدها تتمّ فصولاً . . لم نشاهد منها إلاّ لمحة ؟

حابى : ولكننا شهدنا فى هذه اللمحة ما يكفى . . شهدنا ذلك المقدونى يغزونا . . ويطأ أرضنا . . ويدنّس ثرانا .

ماساهرتا : ومن يدريك أن هذه الأرض التى وطأها ذلك المقدونى غازيًا سوف تكون مقبرته فيما بعد ؟! من يدريك ؟

حابى : ومن يدريك أنت ؟

ماساهرتا : (فى نبرة كلّها ثقة) إيمانى . . . إيمانى بالإله وبعدالته التى لا تدع ظالمًا . . سبحانه . . محيط الأرض نظرته . . وكل البرية رهن أمره . .

(يربت على كتفه) عد إلى نفسك يا ولدى .

حابى : (فى صوت متهدّج) يا ليت لى إيمانك .

خدم الإله : آمون يا رب الوجود . .

يا من له المجد والخلود .

طائفة أخرى : يا عظيم . . يا مهاب .

(موسيقى تصاحب التراتيل .

يطلقون البخور .

يدخل حجّاج فقراء معهم قرابين .
أحد الحجّاج رجل عجوز يتقدّم من الكاهن الأكبر وينحنى بين يديه ويقدّم مكيالاً من القمح وفطيرة .)

الحاج : سلامًا كاهن المعبد .

ماساهرتا : سلامًا أخى .

الحاج : لتتقبّل منى هذا القربان لإلّهنا المعظم آمون .

ماساهرتا : أهلاً بك فى ديارنا .

الحاج : إننا من صور . ستّون يومًا مسافرين بطريق الصحراء .

حاج آخر : (صائحًا من أقصى المعبد) . . هل قلت له ماذا لقينا فى الطريق . . هل قلت له إننا لقينا الإسكندر المقدونى وجنده قادمين إلى الواحة ؟

حابى : (يقفز من مكانه عند سماع الاسم كمن لدغته أفعى) : ماذا تقول . . المقدونى فى طريقه إلى الواحة ؟؟ ! !

الحاج : نعم هو الإسكندر المقدونى بعينه آت إلى آمون ليقدّم إليه القرابين .

حابى : (فى ذهول ودهشة) القرابين ! أية قرابين ؟

الحاج : إنه يريد أن يسأل آمون النصح والهداية .

حابى : أىّ نصح . . وأىّ هداية . . الهداية إلى رقابنا وأقواتنا ؟

ماساهرتا : (مبلبل الذهن) أقادم هو فى جيش . . أم . .

الحاج : لا . . . بل فى نفر من حرّاسه وصحبه .

حابى : (هامساً على جانب من المسرح) سوف أقتله . . سوف أقتله .

الحاج : لقد أنزل الدمار بصور وحطّم صيدا وأحالها أنقاضًا وأحرق غزّة وهدم أسوارها بعد حصار مرير كلّفه تسعة أشهر . . إنه الشيطان بعينه . . لا شيء يقف فى طريقه . . لا شيء .

حابى : (ساخراً) أما نحن فقد استقبلناه بالأحضان والأذرع المفتوحة استقبال البطل المنقذ . . وتوّجناه فرعونًا علينا فى منف .

الحاج : لقد وفرتم على أنفسكم مشقّة صدام لا غناء فيه . لقد خرج الفارسى ودخل المقدونى . . أكنتم تريدون أن تريقوا دماءكم لتحفظوا للفارسىّ بلادكم التى احتلها .

حابى : (فى غضب) كان جبناً أن نخضع للفارسى . . وكان جبنًا أن نخضع للمقدونىّ .

الحاج : بل كانت عين الحكمة أن تفتحوا الباب للعنة الجديدة لتطرد اللعنة القديمة . إن الآلهة تسلّط الأرواح الشريرة على بعضها البعض ليأكل بعضها بعضاً . بالأمس كان دارا إمبراطورًا . واليوم أين دارا . . لقد أكله الإسكندر . إن الطغاة يأكل بعضهم بعضًا .

(أصوات تهليل وضجّة وصليل أسلحة وصهيل خيول خارج المسرح) .

الحاج : هاهم . . هذا صخبهم وضجيجهم . . إنهم جند

الإسكندر . لقد وصلوا .

(يخرج الحجاج ليستطلعوا الخبر)

أحد الكهنة : (يدخل . . وينحنى للكاهن الأكبر قائلاً) :
الإسكندر الأكبر واقف بالباب هو وصحبه ينتظرون الإذن بالمثول بين يديك . . الإسكندر يلتمس الوقوف فى حضرة الإله المعظم آمون ليسأل النصح والمشورة والبركة .

ماساهرتا : ليدخل وحده ويلبث صحبه بالباب . وعليه أن يخلع درعه وزرده وسلاحه ويلبس ثوب حاج عادى .

حابى : (مؤكدًا) أتسمع أيها الكاهن . . ليخلع درعه وزرده وسلاحه ويدخل بثياب الحجاج .
(هامسًا على جانب المسرح) ها هى الفرصة قد واتتنى . . لن أدعه يفلت . . سوف أقتله .

ماساهرتا : (يرمق حابى بنظرة نافذة) إنى أعرف الأفكار الحمقاء التى تدور برأسك أيها الفتى الغرّ . . إن معابد الآلهة ليست الأماكن التى يسفك فيها الدم . . إنها أماكن مطهرة . . اخرج من هنا . . والبث فى غرفتك .

حابى : أتوسل إليك . دعنى أبقى بجانبك .

ماساهرتا : إذن عدنى أن تمسك بلسانك وتمسك بيدك . . وتتذكّر أنك هنا لتتعلّم الحكمة .

حابى : (فى استسلام) أعدك .

ماساهرتا : (راكعاً بجوار المحراب) . . أيها الرب المبجّل . . ألهمنى الحكمة والصواب . يا رب العدالة والمحبّة . يا من ترى صفحة المستقبل أمام عينيك . امنحنى الرؤية والبصيرة . . يا صاحب اليد المعطية مدّ لى يدك .

(يدخل الإسكندر وقد خلع الدرع والزرد والسلاح وارتدى ثوب حاج عادى . ينحنى للكاهن الأكبر ويلثم يده) .

الإسكندر : سلامًا كاهن آمون . . سيد الآلهة أجمعين . . وملك الملوك .

ماساهرتا : سلامًا لفرعون .

الإسكندر : جئت ألتمس المشورة والنصح من الإله المعظّم .

ماساهرتا : إن إلهنا فى شوق إليك وسيخرج بنفسه ليمنحك بركته .

(يفتح باب غرفة مظلمة فى أقصى اليسار هى غرفة قدس الأقداس التى يقيم فيها الإله فى زورقه . . ويدخل الموكب الإلهى . . يتقدّمه حملة المباخر وألواح الوصايا . . ووراءهم اثنا عشر من خدم الإله يحملون سفينة . . مقدّم السفينة ومؤخّرتها مزيّن بتمثال آمون «كبش ذو قرنين يتوّجه قرص الشمس» . . وفى وسط السفينة يقوم محراب الإله وتمثاله وهو تمثال كبير مرصّع بالزمرّد والحجارة الكريمة ومكسوّ بصفائح الذهب . . وأجزاء التمثال تتحرّك على بعضها عن طريق خيوط خفيّة لا يعرف طريقها إلاّ الكاهن الأكبر نفسه . . وعن طريق هذه الخيوط يمكن أن يومىء التمثال برأسه إيماءة موافقة وقبول . . أو يتراجع بجسمه ويديه فى حركة نفور واحتجاج . طول السفينة ستة أمتار ولها قاعدة مسطّحة يمكن أن تستقرّ بها على الهيكل . . وراء السفينة يمشى حملة المراوح . .

تراتيل . . وموسيقى)

آمون يا ربّ الوجود . .

يا من له المجد والخلود . .

يا عظيم . . يا مهاب . .

(يضع خدم الإله السفينة على الهيكل . . ويركع الإسكندر أمام تمثال آمون فى خشوع . ويقف الكاهن الأكبر فى مكان يسمح له بتحريك تمثال الإله كما يشاء . . ويغمض عينيه كمن يستقبل وحيًا) .

الإسكندر : **(راكعاً وعاقداً ذراعيه على صدره)** أيها الإله المعظم . . والرب المبجّل آمون رع . . إنى أسألك عن مصير قتلة أبى فيليب . . هل لاقوا جزاءهم العادل على ما ارتكبته أيديهم .

(تمثال آمون يتراجع إلى الخلف فى حركة نفور واحتجاج) .

ماساهرتا : **(يتكلّم فى صوت جليل وقد أغمض عينيه كمن يتلقى وحياً)** إن الإله المعظم يقول لك . . لا تسب الدين . . إن ما تقوله كفر ، فأبوك لا يمكن أن يناله أذى . . إن أباك هو الإله المعظم آمون نفسه . . إنك من صلب الآلهة . . ودمك إلهى . . وإرادتك مقدّسة . . وروحك خالدة . . ولا قِبَل لقوّة فى الأرض أن تؤذيك . . أو تؤذى أباك . لقد منحك آمون المعظم بنوته منذ ميلادك وبسط عليك ظلال رعايته مدى الحياة .

(تمثال الإله يومىء برأسه إيماءة الموافقة والسرور والرضى . . والإسكندر يتهلل وجهه بالسعادة والفرح . . وحابى يكاد يجن من الغيظ) .

إن نجوم السعد محتشدة فى أبراجها حول اسمك . .

(تمثال الإله يومىء برأسه إيماءة الموافقة)

مكللة بالنصر حياتك يا بن آمون . . مباركة خطوتك . . مقدسة إرادتك . . نافذة كلمتك . . خالدة آثارك فى العالمين .

(تمثال الإله يومىء إيماءة الموافقة)

الإسكندر : (يكاد يجن من الفرح) . . . أحقًّا ! ؟

(متجهًا إلى آمون بحب وضراعة) . . . أبى . .

إلهى . . سيّدى . . مولاى . . مليكى . . أتعدنى بأن أكون وارثك على هذه الأرض ؟

(يومىء التمثال برأسه موافقاً)

. . وبأن يكون لى ملك الأرض قاطبة . .

(يومىء التمثال برأسه موافقاً) .

ماساهرتا : (مغمضًا عينيه يردّد كأنه يتلقى وحيًا) لك أبديّة رع وملك حور . . الأقطار كلها تحت نعليك . . الأرض قاطبة مملكتك . . مبرأ من الخطأ . . محصّن من الأذى . . مطهّر من كل ما هو ممقوت . . أعداؤك أعداء الإله عليهم

النقمة يوم يولدون ويوم يموتون . وأحبابك أحباب الآله عليهم السلام إلى يوم الدين .

(يومىء تمثال آمون موافقاً . يلتفت ماساهرتا إلى حملة ألواح الوصايا) : أكتبوا هذه الكلمات فى ألواحكم .

(يعكف حملة الألواح على ألواحهم يكتبون فيها) هذه إرادة الآله يمليها عليكم .

(حابى يغلى من الغيظ)

الإسكندر : (راكعًا لآمون) . . آلهى . . سيّدى . . مولاى . . أبى . . سوف أقيم لك الهياكل فى كل مكان . . سوف أجعل لك فى كل مدينةٍ محرابًا . . وفى كل أرض معبدًا . . وفى كل قلب تمثالاً . . من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب . . سوف يحرق لك البخور على رُبَى الجبال السبعة . سوف تفتخر بابنك الذى من صلبك الإسكندر بن آمون . . سوف أقدم لك من القرابين ما لم يقدّمه أحد . . ألفًا من الثيران البيضاء . . وألفًا من الدواجن . وألفًا من أوانى الزيت . . وألفاً من أباريق النبيذ . . وألفاً من قدور الجعّة . . وألف مكيال من القمح . . وألف تالنتا من الذهب . . وألف تالنتا من الفضة . . وألف زجاجة من العطر . . وألف قطعة من خشب الصندل والعود الجميل الرائحة . . سوف أجعل من معبدك كعبةً تحجّ إليها شعوب

الدنيا . . سوف أجعل الملوك خدمك والأباطرة سدنتك . . أعطنى إشارتك . . أفتح لك الدنيا . وأقدمها لك قرباناً .

(يومىء تمثال آمون بإشارة الموافقة . .

يقف الإسكندر ويتلفت حوله فى عزّة وتألّه)

إلهى . . إنه ليس حلمًا ! !.. إنى أرى الدنيا كلها تدين لى . .

(يمد يده للكاهن فينحنى عليها يلثمها)

الإسكندر : (مذهولاً) سيّدى الكاهن . . لقد لقيت عندك فوق ما كنت أتمنى .

الكاهن : (يركع بين يديه) . إن قلبى ملىء بالغبطة لرؤية ابن الإله .

الإسكندر : إنكم تملأوننى شوقًا . إنكم تشعلون روحى حماسةً . إنكم تدقّون الطبول فى قلبى .

(يسير نحو الباب وعيناه تحلمان)

وداعاً كهنة آمون . وداعاً مهبط الوحى . . وداعاً مصر الكريمة . . وداعاً أبناه .

(يخرج . .

ما يكاد يختفى عن العيون حتى يقفز حابى من مكانه إلى حيث الكاهن الأكبر ماساهرتا ما زال راكعًا) .

حابى : (يصرخ) . . ماذا فعلت بحقّ آمون . . ماذا فعلت (ينهار) أىّ عار نزل بنا . . ذلك الغازى الطاغية الذى نهبَ بلادنا

يصبح ابنًا لآمون . . ذلك المقدونى الأفاق الذى اغتصب أرضنا ودنّس ثرانا يصبح وارثاً للرب المعظم وابنًا مختارًا . . إرادته مقدّسة . . وأمره مطاع . . أى عار نزل بالمعبد وكهنته .

(يقف ماساهرتا ويحدق فى وجه حابى)

ماساهرتا : أى عار تتحدّث عنه يا فتى ؟

حابى : (فى شكّ) أكان وحى آمون هو الذى أراد هذا . . أكانت كلماته هى التى جعلت من هذا الأفّاق إبنًا إلهياً ؟

ماساهرتا : بل هى إرادتى . . وكلماتى . . ووحيى .

حابى : (صارخًا) أبتاه .

ماساهرتا : (فى جلال الحكمة) لقد أردت أن أردّ لهذا الشعب المهزوم كرامته فخلعت عن ذلك المقدونيّ مقدونيّته . . وجعلت منه ابنًا من أبنائنا حتى يرفع كل مصرى رأسه ويقول . . ها هو مصرى يستردّ لنا تاجنا الذى سلبه الفرس ويفتح لنا العالم . لقد أردت أن أعيد الروح لجنودنا الذين فقدوا أرواحهم .

حابى : (باكيًا) وتجعل منه ابنًا للإلّه ؟

ماساهرتا : لقد جعلت منه ابنًا للإلّه . لكى أقتله .

حابى : (فى دهشة وتساؤل) لتقتله ؟!

ماساهرتا : (فى جلال الحكمة) إن مثل هذا الرجل لا يقتله السيف . وإنما

يقتله الغرور . . حينما يدخل فى روعه أنه أصبح مبرءًا من الخطأ . . محصّناً من الأذى . فإنه يبدأ طريق نهايته . وغداً سوف يفعل به الغرور ما لم يفعله كل المحاربين .

(يطفأ النور تدريجيًا من المعبد ويضاء النصف الآخر من المسرح خارج المعبد . . واحة سيوة تبدو فى رائعة النهار . .
السماء زرقاء صافية إلاّ من سحب قليلة . كثبان الرمل . . والنخيل . . والروابى الخضر منتشرة فى كل مكان . . عين ماء أمام المعبد يعسكر حولها الإسكندر وقواده وحرسه . وهم يسكرون ويضحكون ويكرعون كئوسهم فى نشوة . . الإسكندر فى درعه وزرده وخوذته وحلّته العسكرية اللامعة يتخطر مختالاً أمام خيمته . يجلس أمام الخيمة بروديكاس وبارمينو اثنان من كبار قواد الإسكندر . كانوا من قبل قوادًا فى جيش أبيه فيليب . . فيلوتاس ضابط شاب فى سلاح الفرسان ابن بارمينو . . كليتوس أخو الإسكندر فى الرضاع . . وهيفستيون . . وبطليموس . . ضباط شبّان يحتلّون مراكز هامة فى القيادة ومقرّبون من الإسكندر) .

هيفستيون : (يرفع كأسه) نخب انتصارنا فى أسوس وصور وصيدا وغزة ومنف . نخب قائدنا العظيم وحبيبنا الإسكندر ابن أسد مقدونيا المصور . فيليب .

الإسكندر : (مقاطعاً) لم أعد ابنًا لفيليب .

هيفستيون : آه . . (لا يبدو أنه يفهم شيئًا) .

(همهمة من القوّاد ، كلّ منهم يميل على الآخر يستوضحه) .

فيلوتاس : (يميل على كليتوس) . . ماذا يعنى بأنه لم يعد ابنًا لفيليب . .

يبدو أنه شرب أكثر مما ينبغى .

كليتوس : لا يبدو من خطوته أنه سكران .

الإسكندر : أقول لكم إنى من الآن لست ابنًا لفيليب .

(همهمة بين القواد)

بارمينو : ابن من إذن ؟

الإسكندر : ابن آمون . . ابن الإله آمون .

فيلوتاس : لقد لعبت برأسه الخمر ما فى ذلك شك . . إن خمر هذه الواحة التى يصنعونها من منقوع البلح تطيح بالرأس . . إنها ملعونة .

الإسكندر : لا تنظروا إلىّ هكذا كأنكم تنظرون إلى رجل مجنون أو مخمور فقد عقله . . إنى أقول لكم حقيقة .

بارمينو : إنها وحقّ جوبيتر لحقيقة مدهشة .

الإسكندر : ولماذا تدهشون حينما يقال لكم إن الإسكندر ابن الإله آمون ، ولا تدهشون حينما يقال لكم إن هرقل كان ابنًا للإله زيوس ؟

بارمينو : إن هرقل كان نصف إله .

الإسكندر : (فى بساطة) حسنًا . . وأنا نصف إله .

فيلوتاس : ملعونة خمر هذه الواحة .

بارمينو : (مخاطباً الإسكندر) ومن الذى أبلغك هذه الحقيقة المدهشة ؟

الإسكندر : آمون بنفسه .

(همهمة استغراب بين القواد)

الإسكندر : وقد وعدنى آمون بملك الأرض قاطبة (بفرح) سيكون لنا ملك الأرض قاطبة . . أليس هذا حدثًا لماذا لا تفرحون . . لماذا تنظرون إلىّ هكذا فى استنكار . . ألا يسرّ ضبّاط مقدونيا أن يكون قائدهم ابن آمون وأن يكون دمه إلٓهيًّا . . لماذا تنظر إلى هكذا يابارمينو .

بارمينو : أنا لا أفهم . كيف يكون دمك إلٓهيًّا وأبوك هو فيليب ؟

الإسكندر : (فى بساطة) كما حدث لهرقل تمامًا . . أتى آمون لأمّى الفاضلة أوليمبياس فى صورة زوجها وأنجبنى .

(همهمة استنكار بين الضباط والقواد) .

بارمينو : وبهذا يكون نصفك مصريًّا ونصفك مقدونيًّا . . . فهمت . . . فهمت . . . ما أذكاك . . وما ألمع عقلك . . . لقد خدعت الكاهن بهذا واشتريت منه هذه الفتوى لتحكم مصر كواحد منها وبذلك تضمن ولاءها وعدم ثورتها إلى الأبد . . يا لك من قائد محنّك .

(صيحات استحسان وإعجاب من القواد)

الإسكندر : (صارخًا) بارمينو . . أتسخر منّى . . أىّ خرافة تتحدّث عنها . . إنها حقيقة . . حقيقة لم أشترها من الكاهن . . ولكن آمون بنفسه هو الذى نطق بها . . الإلٓه المعظم آمون هو الذى أولانى رعايته وكشف لى عن أبوته . . وعمّا قليل

سوف يخرج الكهنة حاملين ألواحهم . . ويقرأون عليكم كلمات آمون . . إنه ليس مزاحًا . . إنها حقيقة للتاريخ . . أين كاليستين ليكتبها فى أوراقه . . أين الشاعر أجيس ليترنّم بها . . أين الفيلسوف أناكسارخوس ليتأملها . . أين هم جميعًا . . أين ذهبوا . . ؟

هيفستيون : إنهم فى خيمتهم .

الإسكندر : ادعهم للحضور حالاً .

(يذهب هيفستيون لدعوتهم وما يلبث أن يعود الأربعة إلى مجلس القائد وهم يتهامسون ويميل بعضهم على بعض) .

بطليموس : **(فى خبث . . يعرف دائمًا كيف يكسب رضا قائده)** فى الحق إن هذا النبأ ليس جديدًا على . . لقد كنت دائمًا أشعر بأن هناك شيئًا ما غير بشَرىّ فى قائدنا . . قوة غير بشرّية . . إرادة غير بشرية . . حظًّا فوق حظوظ البشر . . بصيرة لا يؤتى مثلها إلاّ من كان إلَهًا . . إن من كان يراه وهو يقتحم حصن غزّة المنيع وقد انكشف صدره لرماة السهام وأصبح هدفًا لألوف الجند ليدهش كيف استطاع أن يتفادى الموت . . وأنا لا أعجب حينما أسمع الآن أن آمون المعظم كان يبسط عليه ظلّ رعايته وأبوته . . بل إنه ليفسرّ لى كثيرًا ممّا غمض علىّ .

فيلوتاس : **(هامسًا لأبيه بارمينو)** لقد عرف بطليموس بن لاجوس كيف

يكسب رضا الإله .

بطليموس : نخب ابن آمون . . الإله الذى شاء حظّنا السعيد أن يتولاّنا قائداً وراعيًا وحاميًا . . نخب الإسكندر . . حبيب مقدونيا . . وحبيب مصر .

الإسكندر : (مسرورًا بالإطراء) نخب بطليموس الشجاع .

أناكسارخوس : (الفيلسوف الذى يعرف كيف يتفوّق على بطليموس فى تملّقه) حدس بطليموس هذه الحقيقة وخمنها تخمينًا . . أمّا أنا فكنت أعلمها علم اليقين . إن أفلاطون علّمنا فى جمهوريته أن انسجام العقل والروح والقلب لا يؤتى إلاّ للآلهة . . وقائدنا كان دائمًا مثال الروح المتآلفة المنسجمة .

الإسكندر : (مسرورًا) نخب فيلسوفنا الكبير أناكسارخوس .

كاليستين : من أين أتيت بهذا الافتراء على أفلاطون أيها المنافق ؟

أناكسارخوس : من هذا ؟؟.. وماذا تعرف أنت عن الفلاسفة ؟

كاليستين : أعرف بما يكفى لاكتشاف تلفيقك .

الإسكندر : (متضايقاً يزجر الاثنين بشدّة) كفّا عن هذا الجدل . . إنى لا أحب الجدل .

بارمينو : (فى شماتة) إنما أراد أناكسارخوس أن يدخل السرور على قلب قائده .

الإسكندر : يبدو أن هذه المسألة لا تسرّك يا بارمينو .

بارمينو : وهل يسرّنى أن يتبرأ الإسكندر من أبيه قائد مقدونيا العظيم

وباعثها من العدم لينتمي لذلك الآمون المصرى الذى لا نعرف له نسبًا فى الآلهة .

الإسكندر : أتسبّ الآلهة يابارمينو ؟

بارمينو : عفوًا سيدى . . ولكن حبّى لبلادى ملأ علىّ قلبى ولم يترك مكانًا لشيء سواها .

أناكسارخوس : وهل يضيرك يابارمينو أن يوسع الإسكندر من رقعة بلادك فيضم لها بلادًا جديدة . . ويضم لألهتك إلهًا جديدًا .
. . لماذا لا تقول إننا كسبنا إلها جديدًا .

بطليموس : (يعرف وقته) نحب الإله الجديد .
. . نحب آمون . . وابن آمون . .

هيفستيون : (حبيب الإسكندر) نحب الإله الجديد . . نحب آمون . .وابن آمون . .

الإسكندر : برديكاس . . أين صوتك . . إنى لا أسمعك . . لماذا أنت صامت ؟

برديكاس : (العاقل الذى يفضّل الصمت دائماً التماسًا للأمان) عذرًا يا سيدى . ولكنى لا أجيد فنون الكلام . . ولا دراية لى بعلم الآلهة . . ولا بالفلسفة . . وإنما أنا محارب . . مكانى ساحة القتال .

الإسكندر : ليت كلّ فرسان مقدونيا مثلك . . إذن لوفّرنا على أنفسنا الوقت الذى نضيعه فى الهذر .

كاليستين : حقًّا ليتنا نوفّر على أنفسنا الوقت الذى تضيعه فى الهذر .

(الإسكندر يلتقط المعنى الذى يهدف إليه . . ينظر إليه فى غيظ ولا يتكلم .

يظهر كاهن على باب معبد آمون يحمل ألواح الوصايا . . يمشى متجهاً إلى حيث يجلس الإسكندر ينظر فى عزّة وكبرياء وتألّه إلى قوّاده) .

الكاهن : **(يبسط الألواح أمامه)** آمون المعظم يبلغك التحية ويودعك وحيَه ورسالته .

الإسكندر : **(فى زهو)** اقرأ . . اقرأ ما أوصى به آمون المعظم .

الكاهن : **(يقرأ من الألواح) :**

مكلّلة بالنصر حياتك يابن آمون . . مباركة خطوتك . . مقدسة إرادتك . . نافذة كلمتك . . خالدة آثارك فى العالمين . . نجوم السعد محتشدة فى أبراجها حول اسمك . . لك أبديّة رع وملك حور . . الأقطار كلّها تحت نعليك . . الأرض قاطبة مملكتك . . مبرأ من الخطأ . . محصّن من الأذى . . مطهّر من كل ما هو ممقوت . . أعداؤك أعداء الإله عليهم النقمة يوم يولدون ويوم يموتون وأحبابك أحباب الآلِه عليهم السلام إلى يوم الدين .

الإسكندر : **(يختال طربًا . ينزع كيسًا من منطقته ويلقى به إلى الكاهن)**

لك هذا الكيس من الذهب أيها الكاهن . . اذهب وبلغ تحياتى إلى كاهنك الأكبر .

(يلتقط الكاهن الكيس ويعود إلى المعبد . .

الإسكندر يحتضن الألواح كأنه يحتضن كنزًا . . ينظر فى زهو إلى قواده) .

أسمعتم ما قاله الإله . . لى أبدية رع وملك حور . . الأقطار كلها تحت نعلى . . الأرض قاطبة مملكتى . . مبرأ من الخطأ . . محصّن من الأذى . . مطهّر من كلّ ما هو ممقوت . أعدائى أعداء الإله . . وأحبابى أحباب الإله . (يناول كاليستين الألواح) خذ يا كاليستين هذا الكنز . . احفظه عندك . . أبلغه للدنيا كلّها لتقرأه . . . إنه أنفس من كلّ التواريخ التى نكتبها .

(كاليستين يتناول الألواح . . وعلى وجهه اشمئزاز لا يستطيع إخفاءه) .

الإسكندر : (يأمر كاليستين) اقرأها .

كاليستين : (فى تأفف) ثانية . . أقسم لك لقد حفظتها عن ظهر قلب . . وأستطيع أن أستظهرها وأنا مغمض العينين .

الإسكندر : (مسروراً) حسنًا . . حسنًا . .

بارمينو : (ساخرًا) كان يجب أن يوقع الإله بإمضائه الكريم على هذه الرخصة الإلهية .

الإسكندر : (صارخًا فى غضب) بارمينو . . أتسخر من الآلهة ؟

بارمينو : بل أردت أن أضمن لهذه الوثيقة التاريخية نسبتها الإلهية .

الإسكندر : أتشك فى نسبتها الإلهية ؟

بارمينو : بل أشك فى سلامة عقلى . . وفى سلامة عقل قائدى الذى صدّقها .

(فى نوبة غضب يهجم الإسكندر على بارمينو ويصفعه وهو يصرخ . . يهبّ ابن بارمينو الضابط فيلوتاس مدافعًا عن أبيه . . ولكن بارمينو يمنعه من أن يرفع يده فى وجه الإسكندر . . ويقول برقة محاولاً أن يخفّف من حدة الموقف) :

بارمينو : عفوًا يا سيدى سامحنى . . إنى ما قصدت الإهانة . . وإنما هو ميلى إلى الهذر المقدونى . . ذلك المزاج الذى يتمكن منى فى ساعات الفراغ . . والذنب ذنب الفراغ الذى طال بنا فى مصر . . ولا حروب . . ولا نزال . . ونحن جنود لا قبل لنا بالحياة الرخيّة .

الإسكندر : وهذا الولد الوقح ؟

بارمينو : ولدى فيلوتاس . . إنى أعرف ولدى جيّدًا . . وأعرف قلبه . . أقسم لقد هبّ ليقتلنى أنا . . إنه يحبّك أكثر ممّا يحبّنى . . إنه يعبدك . . وكلّنا نعبدك . . وهل هناك فى مقدونيا كلّها . . بل وفى الدنيا . . من لا يعبد الإسكندر القائد المظفر ابن الإله .

(الإسكندر يبتسم ابتسامة صفراء)

هيفستيون : (محاولاً أن يغيّر الجوّ) لنشرب . . لنمرح . . لنحتفل . . إن مثل هذه الوجوه العابسة فى ذلك اليوم السعيد إهانة

لا تغتفر للإله ديونيسيوس . . إله المرح والنشوة والرقص والخمر . . اشربوا جميعاً (يدير القداح) . .

. . اشربوا

اشرب يا كليتوس (يناوله قدحاً) مالك عابس الوجه هكذا كغراب مقدونى فقأوا له عينه . . ألا تملؤك النشوة لأن قائدك الإسكندر وأخاك فى الرضاع قد أنجبه إله مصر المعظم آمون ؟

كليتوس : (محاولاً أن يبتسم) حقًّا إنه لأمر مدهش . . إنه يعطينى الأمل فى أن ألحق بالشجرة الإلهية . . فى يوم ما . . أليس كذلك ؟

الإسكندر : لا شىء يستحيل أمام الشجعان . . إن جنّات الآلهة تغزوها السيوف الباترة .

كليتوس : (ساخرًا) حسنًا . . لآمل من الآن فى أن أكون ابن عم الإله . . أو ابن خاله .

الضباط : (فى تهريج) فلنشرب نخب ابن عم الإله . .

الإسكندر : (مغيظًا) ما هذا الهذر السخيف . . ما هذه البلاهة يا كليتوس ؟

كليتوس : (هامسًا لنفسه على جانب من المسرح) لا أدرى بحقّ جوبيتر من منّا هو الأبله الإله أم ابن عمه .

هيفستيون : (محاولاً تغيير الجو) وهذه الكأس نخب المهذار الحمار . . كليتوس .

الضباط : (بين الضحك والتصفيق) نخب المهذار . . الحمار . . كليتوس .

كليتوس : (ينحنى للمصفقين فى سخرية) شكرًا . . شكرًا على تحيتكم الرقيقة . . إن لقب الحمار على أى حال لن يحرمنى من نسبى الإلهى . . فهم هنا فى هذه البلاد يعبدون العجل آبيس . . ومن يدرى ربّما كان للحمار مستقبل .

الإسكندر: (ثائراً) أتسبّ آلهة البلاد يا كليتوس ؟

كليتوس : عفوًا يا سيدى . . إذا كنت قد أهنت الآلهة فإنى مستعدٌ للاعتذار للعجل آبيس شخصيًّا . . إن كرامة العجل على عينى وعلى رأسى .

(ضحك وتهليل وتصفيق)

الإسكندر : (ثائراً) كليتوس .

كليتوس : (يركع أمام الإسكندر وهو يتطوّح مخموراً) سامحنى يا سيدى . . سامح جنديًّا أحمق أدارت الخمر رأسه .

(ضحكات مكتومة . . ابتسامات . . غمزات . . لمزات . . الإسكندر نفسه يغالب الابتسام فى غيظ) .

هيفستيون : سنعرف كيف نجعلك تفيق أيها الجندى الأحمق .

(يهجم عليه ويضربه على مؤخرته مازحًا . . يتكاثر عليه الجنود

ويضربونه علقة على مؤخرته .

ضحك . . وتهليل . . وتهريج . . وهتاف . . وصفير .)

الإسكندر : (يشير إليهم أن يكفّوا) تكفيني هذه العلقة قرباناً .

(ضحك وتهليل . . .)

هيفستيون : مرحى . . مرحى . . تحيا الخمر . . يحيا الشعر . . يحيا القائد . . يحيا الرائد . . أين أجيس . . أين الشاعر ماذا عندك أيها الشاعر لتحيي هذه المناسبة السعيدة . . ماذا عندك للإسكندر ؟

أجيس : (يهب واقفاً وهو يتطوّح من الخمر ليتلو شعره أمام الإسكندر . . وهو ينحنى له . .) :

شبيه الإنسان

وليس بالإنسان

مؤلّه المكان

مقدّس المعانى

كلّ الدنا عبيده

على مدى الزمان

إلهنا المقدونى

ابن آمون

(يركع ويقبّل الأرض . . بين يديه . .

تصفيق حادّ . . تصفير . . هتاف . .)

الضباط : (يهتفون وفى أيديهم الأقداح) :

مرحى . . مرحى . .

يحيا الشاعر . . يحيا الساحر

يحيا القائد . . يحيا الرائد

المقدونى . . ابن آمون

إلهنا . . حبيبنا . .

كاليستين : (على جانب من المسرح يهمس فى اشمئزاز) صفّقت الجوقة للمنتصر . . ضاعت الحقيقة . . الويل لنا . . ضعنا جميعًا . . ضعنا .

(ستار)

الفصل الثانى

(فى مدينة سمرقند . . .

جيش الإسكندر الذى زحف من مصر شرقًا إلى دجلة والفرات وهزم الفرس وأسقط بابل وأوغل شرقاً إلى أفغانستان يعسكر الآن فى سمرقند . . والستار يزاح عن منظر وليمة باذخة فى قصر سمرقند .

موائد طويلة مصطفّة فى قاعة الولائم بالقصر . . أعمدة القاعة وسقفها وجدرانها منقوشة على الطراز الفارسى . . شمعدانات من الذهب . . البذخ الفارسى يترك أثره فى كل مكان . الموائد مكدّسة بالفاكهة واللحم وصنوف الطعام . . والخمر تسيل أنهاراً أمام المدعوين . . القوّاد جميعهم فى بزّاتهم العسكرية . . وفى خوذاتهم اللامعة يكرعون الخمر ويضحكون فى ابتذال يدلّ على أنهم شربوا أكثر ممّا ينبغى .

الإسكندر فى مكان الشرف وعلى جانبه صديقه المقرب هيفستيون وقائده برديكاس . . وبطليموس — أناكسارخوس — أجيس — كليتوس — كاليستين . يجلسون على التوالى حول المائدة . . ضباط آخرون مجهولون لا نعرفهم .

تيبرا جارية جميلة تجلس على حجر الإسكندر وتداعبه وتسقيه . .

جوار أخريات لا تعرف أسماؤهن يتنقلن بين الموائد يسقين المدعوين الخمر ويداعبنهم . المنظر يوحي بساعة ترف واستمتاع . . خمر . . وطعام . . ونساء . . واسترخاء بعد المعركة) .

هيفستيون : (يرفع كأسه) نخب انتصاراتنا المدوية فى كل مكان فى آسيا الصغرى . . وسوريا . . ومصر . . وفارس .

بطليموس : نخب بطلنا الجبار الذى دكّ عرش بابل وأسقط إمبراطورية دارا .

أناكسارخوس : نخب ابن آمون الذى لا يهزم .

بطليموس : نخب هرقل .

تيبيرا : (تعبث فى شعره بدلال) بل هرقل لا يذكر إلى جوار الإسكندر . . إن هرقل إلى جانب الإسكندر ليس سوى طفل يحبو ويلعب بعجلة حربية . . طفل يلعب بدمية (إلى الإسكندر) أليس كذلك يا حبوبى .

الإسكندر : (يضحك وهو سكران نشوان) تماماً . . تماماً يا فاتنتى . لو جاء هرقل الآن ينافسنا لكان أشبه بطفل يلعب بعجلة حربية .

تيبيرا : (تناوله الكأس) اشرب يا حبوبى اشرب واسقنى من شفتيك . . أريد أن أسكر هذه الليلة لألاعبك أنا الأخرى بسهامى الحربية . . وأبارزك . . وأنازلك .

الإسكندر : (سكران .. يبعدها فى اشمئزاز) أنا لا أنازل النساء . . النساء صغيرات تافهات يشعرننى بالملل . . أنا أريد جبلاً شامخًا

أنازله . . عدوًّا عظيمًا أستحقه . وأنتصر عليه .

تيبيرا : حبوبى . . إنى أقدم لك ما هو أعظم من كل الانتصارات . أقدم لك حبّى . جنة الجنان الوارفة بين ذراعى .

الإسكندر : (يبعدها) أوف . . إنها سجن . . تلك الجنة سجن . ذراعاك يسجناننى . أريد الهواء الطلق . أريد الخلاء . . أريد أن أحلق بجناحى إلى الأراضى البعيدة .

تيبيرا : وأنا يا حبوبى .

الإسكندر : (يزوم بفمه) أنت محطّة . أتزوّد فيها بلقمة . . أسقى الخيل . . ثم أنطلق من جديد .

تيبيرا : (تشير إلى الجوارى اللائى تجمعن حوله فى تلك اللحظة يداعبنه ويصغين إلى كلامه) .

يبدو أنك تتوقف عند محطات عديدة .

كليتوس : (ساخرًا) إنها عادة حسنة تعلمها من ملوك فارس .

الإسكندر : إنها عادة مفيدة أن يتزوج الرجل عشراً . . عشرين . . مائة امرأة . . إن أى امرأة كالأخرى .

ولم لا . . سأتزوج مائة زوجة . . سأتزوج ألف زوجة .

جارية فارسية : (تصرخ فى إغراء وتحيطه بذراعيها) ياللك من فارس عظيم . . إلى هذه الدرجة تحبّ النساء ؟

الإسكندر : (يبعدها) لا . . أنت مخطئة (فى عنف) أنا لا أحب

النساء . . أنا أحب الحرب . . أحب الجيش سوف أتزوج ألف امرأة لأنجب جيشًا أحارب به .

تيبيرا : (تتشبّث به وتقبل جبهته فى عبادة) سوف تكون لى وحدى . . سوف أغنيك عن كل النساء .

الإسكندر (يبعدها فى رفق) لا شىء يغنينى عن شىء . . أنا أريد كل شىء . أريد الدنيا . أريد كل الرجال . . وكل النساء لأصنع من الكل جيشًا . . أحارب به الآلهة . . لأخضع الآلهة . . فلا يكون لها صوت إلى جوارى (يصرخ وهو مخمور) لا أريد صوتًا إلى جوارى .

تيبيرا : (تقبّله فى جبينه) حتى ولا صوتى ؟

الإسكندر : حتى ولا صوتك .

تيبيرا : يا حبيبى . . يا ساحرى . . يا بطلى . . يا إلهى . . دعنى أقبلك فى فمك (تحاول أن تقبّله فى فمه)

الإسكندر : (يبعدها عن فمه ويعطيها يده) لا . . لا . . قبّلى هذه كفاية . (تقبّل يده) .

الإسكندر : (يتلفّت بين الموجودين ثم يصرخ) :
الشاعر . . ؟ ؟ . . أين الشاعر (ينادى) أجيس أيها الأبله . . لماذا لا تغنى لسيدك ؟

أجيس : (يرفع كأسه ويسكبه فى جوفه ويقوم يترنح) :
إلهنا . . ربنا

باعثنا من الفنا

تعويذة انتصارنا

أقدارنا فى كفّه

وسيفه . .

يبعثرنا . هاهنا

وها هنا . . .

الإسكندر : أيها الأبله . . هذا ليس بشعر . إنه تقرير حقيقة ، ما رأيك أيها الفيلسوف يا من تحترف صناعة الحقيقة فى هذه الحقيقة التى يقولها الشاعر؟

أناكسارخوس : رأيى أن أجيس شاعر تعس سيىء الحظ لأنه حاول أن يصف الإسكندر بخياله . . ولا أحد يستطيع أن يصل إلى الإسكندر بخياله . . لأن الإسكندر فوق الخيال وفوق العقل . . الإسكندر فكرة إلهية لا نهائية . . الخيال والشعر والجمال والكمال والمثل الأعلى ينتهى عنده ولا يصل إليه . العقل يتلمّسه ولا يدركه ولا يفهمه . . إنه المعجزة بذاتها .

الإسكندر : (يتابعه فى طرب وسرور) إيه . . بالضبط . أيها الفيلسوف العظيم . . لقد وصلت أخيرًا إلى الحقيقة بدون مصباح ديوجين .

بطليموس : (لا تفوته فرصة تملق) إن جثة دارا إمبراطور الفرس حيث

ترقد تحت التراب تعرف عن الإسكندر أكثر ممّا نعرف نحن الأحياء جميعًا . . تعرف أنه القدر ذاته ، حيث يمشى تتغير مصائر الدنيا . . ويتغير التاريخ . . وتموت أمم . . وتبعث أمم . . ويموت ملوك . . ويبعث ملوك . .

هيفستيون : حيث يمشى ملك الملوك . . وابن الآلهة . . فلا أحد يكون ملكًا . . وإنما الكل رعيّة . . .والكلّ عبيد . . والكل خدم .

برديكاس : (يرفع كأسه) نخب ملك الملوك . . وسليل الآلهة .

(تتقارع الكئوس . . وتدوى الهتافات المخمورة)

نخب ملك الملوك . . نخب سليل الآلهة .

(كليتوس يبدو عليه الاشمئزاز طول الوقت من هذا التملّق . . وهو يحاول أن يكبت غيظه ولكن وجهه يشف عن ألمه المكبوت . . كاليستين هو الآخر يشاركه الغيظ ولا يجد كلاماً يقوله .)

الإسكندر : أيها المؤرخ المأفون . . لماذا تبدو عابسًا هكذا كحفّارى القبور . . لماذا لا تحتفل معنا ؟

كاليستين : (يرفع كأسه فى احراج) نخب بطلنا المغوار الذى أعاد أمجاد فيليب العظيم .

بطليموس : (محتجًا) ما هذا السخف الذى تنطق به ، من هو فيليب هذا . . وأىّ أمجاد كانت لفيليب . وهل يذكر الصعاليك حينما يذكر الملوك .

الإسكندر : (فى غضب) نعم . . من هو فيليب . . وأىّ أمجاد كانت له .

كاليستين : مجده الأوّل أنه أنجبك .

الإسكندر : (فى استنكار) أنجبنى ؟!!.. أنسيت من الذى أنجبنى . . هذا كفر .

كاليستين : (فى اشمئزاز) آه . . تذكّرت . . أغفر لى هفوتى . . يبدو أنى سكرت .

الإسكندر : (صارخًا) إن فيليب هذا الذى تتشدّق ببطولاته كان يكسب حروبه بسيفى أنا .

كاليستين : عفوًا يا سيدى . . ولكن فيليب حينما كان يكسب هذه البطولات كنت أنت أصغر من أن تحمل سيفًا . . لقد صنع لمقدونيا مجدها وأنت ما زلت طفلاً فى المهد وصبيًّا تلعب مع أقرانك . . وتتعلّم دروسك على يد معلّمنا أرسطو .

الإسكندر : (فى غضب) إلى الجحيم أنت وأرسطو . . لا أحد علّمنى شيئًا . . لو أننى سرت على منطق أرسطو لأصبحت مأفونًا متردّدًا مثلك (يمتشق حسامه ويلوّح به فى وجه المدعوين) لا أحد علّم هذا السيف كيف يقطع الرقاب . . ولو كان لهذا السيف عقل أرسطو لما وجد الشجاعة ليقطع رقبة واحدة ولعاش مشلولاً فى جراب المنطق . . ولكنه عرف كيف

يريد دون أن يفكر . وكيف يمضى بإرادته وحدها ليفتح الدنيا .

كاليستين : وكانت هذه غلطته الكبرى .

الإسكندر : (تفوته اللمحة التى أرادها كاليستين) ماذا تقول ؟

كاليستين : لا شىء .

الإسكندر : أتكذبنى !

كاليستين : وهل أجرؤ ؟ ! .. وهل أجرؤ على تكذيب سيدى . . وهل يجدى أن أكذب التاريخ ؟

الإسكندر : (مسروراً) حسناً . حسنًا . . يسرّنى أخيراً أنك اكتشفت أن التاريخ ليس ما تكتبه . . ولكن ما أفعله . . لنشرب نخب هذا التطور الخطير . . (يشرب كأسه دفعة واحدة) أما فيليب بطلك المحبوب الذى تتحسّر على بطولاته فاسأل عنه معركة كيرونيا حينما كنت طفلاً كما تقول . . وسيقولون لك إن ذلك الطفل هو الذى كسب لأبيه المعركة .

بطليموس : إنى لن أنسى تلك المعركة أبدًا . . لقد كنت فيها شجاعًا إلى درجة أثارت حسد أبيك .

الإسكندر : وعداوته . . لقد كان يكره أن يرانى منتصراً . . إنه لم يكن أبى أبدًا . . لقد كان غريمى .

هيفستيون : لقد حاربت فرقة كاملة وحدك . وطاردتها . . وحملت عليها . ففرّت بمعسكرها وتفرّقت فى الغابات كالأرانب .

الإسكندر : ثم عاد فيليب بعد ذلك ليحمل على الأعناق على أنه القائد المنقذ . . وليكتب عنه المؤرخ كاليستين فى أوراقه أنه بطل مقدونيا المغوار الذى كسب كيرونيا . . ما أكثر الأكاذيب التى يدسّها هؤلاء المؤرّخون على التاريخ .

كاليتوس : (فى مرارة) حقًّا ما أكثر الأكاذيب التى ندسّها على التاريخ المسكين البرىء منّا جميعًا . . بالأمس كان فيليب عظيمًا . . كان فخار مقدونيا وباعث نهضتها وبطلها المغوار . . وكان الشعراء يتغنّون باسمه . . واليوم هو صعلوك لا يجب أن يذكر حيث يذكر الملوك .

الإسكندر : يبدو أن هذا الكلام لا يعجبك .

كاليتوس : (الذى لم يستطع أن يكظم غيظه أكثر من هذا يهبّ واقفًا ويصيح فى وجه الإسكندر) :

نعم إنه لا يعجبنى . . وأكثر . . وأكثر . . إنه يبدو مزريًا بى وبك . . وبكل من يقوله ويردّده .

الإسكندر : (يضرب المائدة بغضب فتتطاير الأكواب ويهبّ صارخًا) : كيف تجرؤ . (يختنق الكلام فى حلقه وقد فوجىء لأول مرة بمن يواجهه ويعارضه بكلّ هذه الشدّة) . .

. . كيف تجرؤ ! :

كاليتوس : لم أعد أستطيع السكوت على كلّ هذا الكذب والنفاق والتضليل . . هؤلاء الذين يشيدون بك ويحقّرون من شأن

فيليب ويهيلون عليه السباب ويخفضونه لترتفع أنت . . هم أنفسهم الذين سوف يحقّرونك ويهيلون عليك السباب حينما يجدون من هو أقوى منك .

الإسكندر : أقوى . منى ؟! وهل هناك (فى دهشة استنكار) من هو أقوى منى . . وهل سيوجد من هو أقوى منى ؟

(صيحات استنكار من الجميع)

برديكاس : كليتوس . . هل جننت ؟

هيفستيون : هل فقدت عقلك ؟

بطليموس : ما هذا الكلام الذى تقوله ؟

كاليستين : (فى إشفاق) كليتوس . .

كليتوس : نعم سيوجد من هو أقوى منك . . سينجب آمون أبناء آخرين . فلا عمل للكهنة سوى ذلك .

الإسكندر : (لا يصدّق أذنيه) كليتوس .

كليتوس : هل نسيت أنك لم تفتح هذه الفتوحات بآمون وإنما بجيش فيليب الذى تحتقره . . وبولاء قواده الذين تقتلهم الواحد بعد الآخر لأنهم يعارضونك . . قتلت بارمينو غدراً واغتيالاً فى ميديا وهو عجوز فى السبعين ونسيت ماضيه وتاريخه . . ولم يغتفر لك هذا الماضى أنه عارضك وأنكر ألوهيتك . . وقتلت ابنه فيلوتاس بعد أن عذّبته عذابًا رهيبًا ولفّقت له مؤامرة هو برىء منها . . لأنه لم يعترف

بأبيك المزعوم آمون .

الإسكندر : (صارخًا) كليتوس .

(يقفز من كرسيه وينتزع سيفه ويجرى هاجمًا على كليتوس ولكن قواده يهدئون من ثائرته وينتزعون منه السيف) .

برديكاس : اهدأ قليلاً . . لا تدع الغضب يتملّكك .

بطليموس : إنه مجنون . . لعبت الخمر برأسه .

هيفستيون : وهل تقتل أخاك . . إنه أخوك .

الإسكندر : (صارخًا) إنه لا يستحق الحياة . دعونى . دعونى **(يحاول أن يتملّص من قبضتهم)** ماذا بقى لى من نفوذى عليكم **(يصرخ فى غضب)** ها أنا ذا مشلول . . مقيّد . . سجين أذرعكم . . ليس لى من صفة القائد إلاّ اسمه . . هذه خيانة . . خيانة .

(بعض الضباط يلتفّون حول كليتوس ويحاولون إخراجه من القاعة . . ولكنه يقاومهم بشدّة)

كليتوس : **(يصرخ)** إذا كنت قد نسيت كلّ شىء أيها الإله المعظم . تذكر هذه الذراع . هذه الذراع . هذه الذراع التى أنقذت حياتك فى معركة غرنيقا **(يشاور على ذراعه اليمنى)** إن الشجاعة ليست فى مواجهة الموت فى ساحات القتال وحدها . . ولكنها فى مواجهة الحقيقة . حاول أن تواجه حقيقتك . حاول أن تصغى إلى كلمة الذين يحبونك إذا

كنت تريد أن تدعو أحراراً إلى مائدتك وإلاّ فاحرص من الليلة على دعوة العبيد والخدم وحدهم .

(حالة ذهول ووجوم وهمس من الموجودين . مزيج من الاستنكار والراحة لأن هذا النقد العنيف يقال أخيراً . . ويكلّ هذه الحرأة وإشفاق من النتائج . حالة فوضى فى القاعة . هناك فرقتان كلّ فرقة تحاول تهدئة طرف من أطراف المعركة) .

الإسكندر : (يحاول أن يتملّص من الأيدى التى تمسك به) دعونى هل هى مؤامرة . . هل أنا معتقل .

(قواده يخلون سبيله خوفاً من النتائج فيقفز إلى غريمه وينتزع السيف من أحد الضباط ويطعن به كليتوس طعنةً قاتلةً . . وهو يصرخ) :

اذهب حيث تلتقى بفيليب وبارمينو .

كليتوس : (يخرّ مضرجاً بدمه وهو يتمتم) :

لقد انتصرتُ على الإله . . لقد قلتُ الحقيقة .

(الموجودون فى حالة ذعر يخفون وجوههم من بشاعة المنظر . .
يهدأ الإسكندر فجأةً بعد اغتيال كليتوس . . ويشحب وجهه وتتحوّل عاطفته فجأة إلى نقيضها فيشمله شعور طاغٍ بالندم . .
الموجودون يقترب كلّ منهم من كليتوس وينحنى على جثته ثم يمضى فى حزن .
يتسلّلون الواحد بعد الآخر خارجين من القاعة . . ويبقى الإسكندر وحيداً مع ضحيته) .

الإسكندر : (يمسح عينيه وينظر حوله غير مصدّق . . ينحنى على كليتوس ويهتف

بصوت معول) :

كليتوس . . أخى . . هذا مستحيل .

(يصرخ بصوت باك مجنون) كليتوس . .

(ينظر فى الفراغ حوله) كليتوس . . أين أنت !

كليتوس (ينهار باكيًا على الجثة)

. . أجبنى . . قل إنك ما زلت حيًّا . . قل إنى لم أقتلك .
قل إنه كان كابوسًا وإننا كلينا مخموران . . هذه الدماء
الطاهرة . . لست أنا الذى أرقتها . . هذه جريمة بشعة .
مستحيل أن أقتل ذلك الذى أنقذنى ومنحنى الحياة . .
هذا نكران للجميل لا تغتفره الآلهة .

(يحثو على وجهه تراب الأرض وينشج كالأطفال)

لا . . إنى أكذب على نفسى . . أخدع نفسى
لقد قتلته . . ما أنا إلاّ قاتل جبان ناكر للجميل .
سفاح لا يستحق أن يعيش . .
إن روحى سوف تكتوى بجحيم الندم . . سوف أتعذّب
مدى الحياة . . لن أعرف للنوم طعمًا بعد الآن . . لن
أعرف للسكينة طعمًا .
سوف تطاردنى ربات الانتقام .
لا أمل لى . (يبكى وينشّج)
لا أمل لى .

لقد فقدت عقلى . . أعمانى غضبى . . وجعل منى حيوانًا وأدنى من الحيوان .

(ينفجر فى عويل مفجع . . ويرتمى على الأرض . . ويخبط رأسه فى الأرض ويتلوّى . . ويصيح كأنه فى قبضة جلّاد يسوطه ويعذّبه)

الرحمة . . الرحمة . . الأفاعى تلتفّ حول عنقى . . إنى أموت . . الدنيا تظلم من حولى (تخفت أنوار المسرح) أفاعى الانتقام تعتصر قلبى . . تخنق روحى . . الرحمة كليتوس . . مدّ لى يديك . . أنقذنى . . مدّ لى الذراع التى أنقذتنى لتنقذنى مرّة أخرى .

لم تعد ذراعك تنبض بالحياة . . شلّها الموت .

لقد قتلتك . ما أنا إلاّ قاتل أثيم . قاتل لا يستحقّ الرحمة .

(ينفجر فى العويل مرّة أخرى . . ويحثو التراب على وجهه ويتلوى . . تدخل تيبيرا

يلمح ثوبها الأبيض من بعيد فيصرخ) :

— من ؟! . . من هناك ؟!

تيبيرا : (تقبل عليه فى حنان) :

إنها أنا تيبيرا يا مولاى . . جاريتك . . وحبيبتك .

الإسكندر : لم يعد لى حبيب بعد الآن . . الكلّ أصبح يكرهنى حتى نفسى أصبحت تكره نفسى . . تمقت نفسى . أصبحت ألدّ أعدائى . . لم يعد لى أمل فى راحة أو سكينة .

تيبيرا : (تركع بجواره وتمسح رأسه) :
مولاى . . مثل هذه الأحزان . . ليست حقيقة بالآلهة . .
إن الآلهة لا تحزن .

الإسكندر : لقد ارتكبت جرمًا شنيعًا يا تيبيرا . لقد أخطأت .

تيبيرا : إن الآلهة لا تخطىء .

الإسكندر : وهذه الشرور التى ارتكبتها ؟؟

تيبيرا : إنها شرور واجبة وقد نزلت بمن يستحقها . . إن الأرض مليئة بصرخات العذاب . . والآلهة تنزل العذاب بالبشر . ولا تحزن . . وأنت إله .

الإسكندر : الندم يخنقنى .

تيبيرا : إنه جسدك البشرى يخنق طبيعتك الإلهية . انفض عنك هذا الضعف البشرى .

الإسكندر : لا أستطيع أن أنسى دمه الطاهر . . هذا اللون الأحمر كجهنم يعشى بصرى .

تيبيرا : ادفن أحزانك فى صدرى أنا . . أستودع عذابك قلبى فأنا بشريّة خُلقتُ لأتعذّب . . تعال يا حبيبى .

(تأخذه على صدرها)

يا أقوى من كل الأقوياء . . يا أقسى من كل القساة . وأعتى من كلّ العتاة . . عد إلى قسوتك وعتوّك وجبروتك . . عُدْ إلى شموخك . . لقد خُلقتْ لتعذّبَ

الناس بهذا الشموخ . . ليس مثلك من يندم . . دع الندم لنا نحن البشر . . إننا نحتمى بقوّتك وجبروتك وشموخك . . ونلوذ بك من ضعفنا . . فلا تضعف . إن ضعفت هلكنا جميعًا . . هلكنا جميعًا .

(يدخل برديكاس وهيفستيون وبطليموس . . وهم يتسارّون كلامًا بالهمس وحينا يقتربون . . نسمع همسهم) :

برديكاس : لا بدّ أن نفعل شيئًا .

هيفستيون : لو أنه استمرّ على هذا البكاء فإن الجيش سوف يثور . . سوف يفقد ثقته به وينشقّ عليه . .

بطليموس : وحولنا أعداء يترصّدون هذه اللحظة لينقضوا علينا . وتكون النهاية أن نتدلّى جميعًا من أعواد المشانق ؟.

برديكاس : لابد أن نفعل شيئاً . . لا يجدر بنا أن نبقى على هذه الحالة .

بطليموس : اتركوا الأمر لى .

(يقترب من الإسكندر ويؤدّى التحية) :

مولاى . . إن الجيش مجتمع فى الخارج .

الإسكندر : (فى فزع) الجيش ؟؟!

بطليموس : وقد صدر قرار بالإجماع بإدانة المجرم الأثيم كليتوس وبعدالة مقتله . . وبإلقاء جثته فى العراء عقابًا على خيانته وتطاوله على القائد .

الإسكندر : (فى دهشة) . . ولكن . .

بطليموس : إن الجيش يقدّر حزنك على صديقك . . ولكنه لا يملك إلاّ الخضوع للاعتبارات العسكرية العليا . . وهى اعتبارات مقدّمة دائمًا على العاطفة الشخصيّة .

الإسكندر : ولكن لابدّ من دفنه .

بطليموس : لا يحقّ لك أن تطلب هذا الطلب . . فإنه يكون منافيًا لكل الشرائع . . أن يدفن خائن .

الإسكندر : (فى ذهول . . يكاد لا يصدّق) . . خائن ؟! . . أيقولون فى الجيش إنه خائن ؟!

بطليموس : نعم يا مولاى . . وإنهم ليحمدون لك نافذ بصيرتك وحكيم تدبيرك بقتله . . وإنقاذ الجيش من شروره .

الإسكندر : (فى ذهول) أنا لا أصدّق !

بطليموس : هل تسمح لى .

(لا ينتظر ردّ الإسكندر وإنما يشرع فى حمل الجثة بمعاونة برديكاس [illegible] . . وما يلبث أن يخرج الثلاثة ومعهم الجثة . . ويبقى الإسكندر وحيداً مع تيبيرا . . يقوم واقفًا وينظر حوله فى ذهول) :

الإسكندر : أسمعت يا تيبيرا . إنهم يقولون إنه خائن .
(يمسح بيده على عينيه كأنه يمحو شيئًا) . . خائن . . خائن هه .

تيبيرا : كلّ من يعترض على مشيئتك خائن .

الإسكندر : مشيئتى . . (يتحسّس صدره . . ويتحسّس مكان قلبه حيث توجد

مشيئته) مشيئتى . (يضحك ويبكى . . ويعول ويعود إلى النشيج ثانيةً وينهار جالسًا على أحد الكراسى . .

تأخذ تيبيرا رأسه بين يديها . . وتهدهده . .

يفتح الإسكندر عينيه وينظر إليها مغمغماً بصوت متهدج) :

ماذا تفعلين يا تيبيرا . . إذا كانت مشيئتى أن أقتلك ؟

تيبيرا : مشيئتك نافذة . . وإن كانت موتى .

الإسكندر : أتموتين من أجلى يا تيبيرا .

تيبيرا : أنا أموت فى كل لحظة من أجلك يا مولاى .

(يلبث لحظة صامتاً وقد بدا عليه التأمل والتفكير . . ويمسح عينيه كأنه يمحو شبحًا) .

الإسكندر : أكان حلمًا ؟

تيبيرا : أىّ حلم .

الإسكندر : ذلك الأفعوان الذى كان يلتف حول رقبتى ويخنق روحى (يتحسّس رقبته) ويعتصر أنفاسى .

(يدخل أناكساوخوس الفيلسوف . . يقبل على الإسكندر وينحنى فى حضرته) .

الإسكندر : (ينظر إليه فى ريبة) ماذا وراءك . لماذا تبدو شاحبًا هكذا أيها الفيلسوف ؟

أناكساوخوس : أحزان سيدى أظلمت نفسى .

الإسكندر : إنه لشىء فظيع أن تظلم النفوس . . أليس كذلك

يا أناكسارخوس ؟

أناكسارخوس : فليسمح لى سيدى القائد . الحق أنى لا أرى مبرّرًا لهذه الأحزان . فإنه هبوط بمكانة الآلهة أن تنزل إلى حيث تخضع نفسها لقوانين البشر . إن أفعالك يا سيدى فى نظرنا بمثابة القانون . . أنت الذى تضع لنا القانون فكيف تخضع مثلنا لهذا القانون . أنت تختار لنا خيرنا وشرّنا فكيف تخضع لهذا الخير ولهذا الشر . . وأنت فوقه وأنت مبدعه . . إننا نقول عن الأمر إنه شرّ حينما نراك تبغضه . . إننا نتخذك مقياسًا . . فكيف بك تنزل إلى دركنا البشرى وتتّخذ من مشاعرنا البشرية مقياسًا لفرحك وحزنك .

(ينحنى فى إجلال)

إن طبيعتك الإلهيّة حقيقة بأن تتنزّه عن هذا الضعف .

الإسكندر : (يقوم من مكانه ويمشى ذاهبًا آيبًا مشغول البال) يا أناكسارخوس إنه ليربكنى أشدّ الارتباك . أن تتنازعنى عوامل الضعف والقوّة وتزلزلنى إلى هذا المدى . . أعترف أنّى شديد القلق .

أناكسارخوس : إنها شوائب أرضيّة تعلق بروحك . . إنها قوى الظلام تحاول أن تحجب إشعاعك ونورانيتك . . لا تستسلم لها . . أنبذها . . أطرحها . . لا تدعها تعوق حريتك وانطلاقك .

الإسكندر : لقد أحسنت التعبير يا صديق . إن روحى مغلولة . . أشعر بها مغلولة . . أشعر بأثقال توقرها .

أناكسارخوس : اطرح عنك هذه الأثقال . . أكسر قيودك . . انطلق مشرعًا سيفك كما تعودناك . . فارسًا مغوارًا لا يهزم .

الإسكندر : (محادثًا نفسه فى ذهول) أنطلق . . أنطلق .

(يلبث لحظةً صامتًا ثم يرفع رأسه ليسأل أناكسارخوس) :

وماذا قال العرّافون .

أناكسارخوس : العرافون . إنهم قوم مخرّفون لا يعملون عقولهم فى شىء أبدًا . . ولا حيلة عندهم إلاّ النجوم . . النجوم . . وماذا عند النجوم . وهل فى النجوم منطق . . وهل فى النجوم عقل ؟

الإسكندر : ادع لى العرّافين . . أريد أن أسمع ما يقوله العرّافون .

أناكسارخوس : سمعًا وطاعةً يا مولاى .

(ينصرف أناكسارخوس)

الإسكندر : (ما زال يتمشى ذاهبًا آيبًا فى ذهول وهو يغمغم مخاطبًا تيبيرا) :

لقد أجاد أناكسارخوس التعبير عنى . . إنى أشعر بأنى مغلول فى أسار ضعف بشرى . . أشعر بأن أثقالاً بشرية توقر روحى وتعوقنى عن الانطلاق . . أشعر بإشعاع روحى وقد احتجب خلف سحب من الغبار . . أشعر بإرادتى

تشقّ طريقها فى ضباب وتنتزع نفسها انتزاعًا من أيد شريرة تغلّها وتقيدها .

تيبيرا : يا فارسى المغوار . إنها سحابة ما تلبث أن تنقشع وما تلبث شمس آمون أن تسطع بعدها وتتألق أنوارها فى قلبك وتنطلق كشعاع من نور تعبر السماء من مشرقها إلى مغربها .

الإسكندر : حقًّا يا تيبيرا . ما أشد شوقى إلى أن أنطلق (هامساً) انطلق .

(يدخل العرافون ثلاثة من العجائز تتدلّى ذقونهم على صدورهم وقد انحنت ظهورهم بفعل السنين) .

الإسكندر : تعالوا أيها العرافون . .

(يتقدم العرافون وينحنون فى حضرته)

ماذا قالت لكم النجوم عن هذا الحدث المشئوم ؟

كبيرالعرافين : (يتقدم) :

لقد انعقدت نجوم النحس فى برج زحل . وحقّت لعنتها على اسم كليتوس . . ولم يكن هناك مفرّ ممّا حدث فى تلك الساعة المشئومة .

الإسكندر : وماذا قالت الآلهة يابوزانياس ؟

بوزانياس : (يتقدم) :

الآلهة قالت إنها تبرئك من مقتل كليتوس . وقالت إن غضبة ديونيسيوس إله الخمر هى السبب . . فقد غضب

ديونيسيوس لأنكم أرقتم الخمر أنهاراً فى تلك الوليمة المشئومة ولم تقدّموا له القرابين الواجبة . . وأنزل غضبه على كليتوس .

الإسكندر : هذه نبوءة حسنة (يبتسم وتلمع عيناه) شكراً لكم أيها العرافون . . انصرفوا .

(ينصرف العرافون)

الإسكندر : (وهو يبتسم فى ذهول) أرأيت ياتيبيرا . . إن الآلهة حملت على عاتقها وزر هذا الجرم عنّى . حمل ديونيسيوس وزره عنى . . وأخلى سبيلى .

تيبيرا : يا حبيب الآلهة .

الإسكندر : أشعر بأن الدنيا تضىء لى من جديد . .

(يشتدّ الضوء فى القاعة ويعود إلى سالف تألقه . . يمشى الإسكندر بقوّة . . هذه المرة رافع الرأس . . ذاهباً آيباً) .
أشعر بقواى تعود إلى . . أشعر بالدماء تتدفّق فى عروق

(يصيح) أين درعى . أين زردى . . أين سيفى . . أين قوّادى . . أين فرسانى ؟

تيبيرا : (تقبل عليه مهللة لتحضنه) حبيبى . إلهى . معبودى .

الإسكندر : (يزيحها فى رفق) ابعثى فى طلب برديكاس .

(تخرج تيبيرا)

أبلغى الحراس بأن يدقّوا طبول الحرب . . وينفخوا فى النفير .

(الإسكندر وحده واقفًا مشرع القامة ينظر فى قوّة محملقًا فى الفراغ أمامه)

الأراضى المجهولة تفتح لى ذراعيها لأغزوها .

(صوت الطبول يقرع فى الخارج . . والنفير يدوى رهيبًا)

الحرب تدعونى . . المجد ينتظرنى . . التاريخ يلهث خلفى . . لا وقت للنوم . . أريد أن أسبق الشمس إلى مغربها .

(يجرى خارجاً .

صوته يدوّى فى الخارج) :

حصانى . . حصانى .

(ستار)

الفصل الثالث

(خيام المعسكر مضروبة فى أحراش الهند . .
غابات كثيفة تبدو فى الخلف . .
الشمس تلمع على رؤوس الشجر
برديكاس وهيفستيون وبطليموس يدفعون أمامهم كاليتستين مكبّلاً بالسلاسل . .
المؤرخ المسكين تبدو عليه آثار الهزال والمرض والإرهاق .
السنوات التى مرت فى صحبة الجيش فى زحفه الطويل من مقدونيا إلى الهند رسمت آثارها وتجاعيدها وآلامها على وجهه ولم تدع منه إلاّ بقايا وأنقاض آدمى . . الشىء الوحيد الذى ظلّ محتفظًا بالحيوية فيه هو عيناه اللامعتان اللتان تدوران فى قلق فى محجريهما وقد ارتسمت فيهما الحكمة والتعاسة والعناء الذى لا حدّ له .
بطليموس يدفعه من وقت لآخر كلّما أبطأ فى خطوته . . ويمسك به كلما أوشك أن يتهاوى . . ولكنه فى النهاية يخرّ على ركبتيه متعبًا متهالكًا يلتقط أنفاسه . يجلس الثلاثة برديكاس وهيفستيون وبطليموس على جذوع أشجار مقطوعة فى ساحة المعسكر . . وما نلبث أن نرى

(أناكسارخوس مقبلاً ومعه الشاعر أجيس . . ومن ورائهما تيبيرا تحمل زمزمية بها ماء .
الملابس التى يلبسها القوّاد أصبحت الآن أسمالاً بالية من طول الزحف وكثرة المعارك . . والسن رسمت آثارها على وجوههم جميعًا فبدوا شيوخًا قبل الأوان من كثرة الصدام والطعان والجراح) .

بطليموس : (يلكز أناكسارخوس فى كتفه مشيرًا إلى كاليستين) انظر إلى صاحبك إنه يشرب كالحصان .

أناكسارخوس : إنه يقاوم الموت ببسالة نادرة .

بطليموس : (فى سخرية) يقول إنه لو مات فسيموت التاريخ من بعده . . وهو لهذا يتمسّك بالحياة فى استماتة غريبة .

أناكسارخوس : (هامسًا) إنه الذاكرة الباقية لأعمال الإسكندر . . ولأعمالنا جميعًا .

بطليموس : ولهذا السبب يسأل الإسكندر كلّ يوم عن صحته ليطمئن إلى موته .

أناكسارخوس : ثق أننا لسنا أقلّ قلقاً من الإسكندر على صحته . . إنه يعرف من أعمالنا ما يكفى لشنقنا جميعًا فى ميادين مقدونيا . . إن موته ليس أمل الإسكندر وحده . . إنه أملنا جميعاً .

بطليموس : لا أفهم لماذا لا يأمر الإسكندر بحزّ رقبته ويريحنا جميعًا منه .

أناكسارخوس : إن الإسكندر لم تعد له الجرأة والقسوة والإرادة الحاسمة

القاطعة التى كانت له فى الماضى . . لقد تغيّر كثيرًا منذ مقتل كليتوس . . أصبح يفكّر . . ويلتمس الأسباب والأعذار والمنطق ليلبس أفعاله القاسية ثوبًا من العقل . . أرأيت كيف حاكم كاليستين . . وحاول أن ينتزع منه اعترافاً بالتآمر على حياته . . ليستخدم هذا الاعتراف رخصة لإعدامه . . مثل هذا الأسلوب لم يكن يلجأ إليه الإسكندر فيما مضى . . كانت إرادته على الدوام مبررًا كافيًا . . وشبهته تغنى عن أى محاكمة . . أرأيت كيف سبق سيفه عقله إلى صدر كليتوس فأرداه قتيلاً دون محاكمة . . وبارمينو كيف قتله غيلة . . (يتنهد) . . هيه . . إنه الضعف بدأ ينخر قلب قائدنا الذى لا يهزم . . إنه لم يعد ابنًا للإله .

بطليموس : إنه يريد أن يقتل كاليستين ويخاف منه .

أناكسارخوس : (ساخراً) الإسكندر يخاف . . أليس هذا أمراً مضحكاً .

بطليموس : منذ أن رفض كاليستين أن يؤدّى له طقوس العبادة فى حفل زواجه وهو يخافه .

أناكسارخوس : لأنه ينظر إليه كإنسان . . نظراته النافذة تخترق كلّ بطشه وهيلمانه وسطوته وتنفذ حتى أعماقه الضعيفة وتهزّها هزًّا . . إنه يذكّر الإسكندر فى كل لحظة أن هيلمانه وسطوته وقوته لم تعد سوى قشرة يختفى تحتها الضعف

والخوف والهلع . . ذلك الضعف الذى يميز الإنسان .
إن الإسكندر يتعذّب . . يتمزّق .

بطليموس : ولكنه ما زال أسدًا . . ما زال فارس الحرب الذى لا يجارى . . أرأيت ماذا فعل فى موقعة كابول ؟

أناكسارخوس : إنه يزأر ليغطّى العويل الذى بداخله . . إن جنون الحرب أصبح ملاذه الوحيد . . ومخبأه الذى يختفى فيه من نفسه .

بطليموس : (يخبط على كتف زميله معجبًا) وحقّ جوبيتر . . إنك لست بالسذاجة التى ظننتك بها . . لماذا لا تبدو بهذه الحكمة أمام قائدك . . لماذا تبدو تافهًا أبله . . لماذا تخفى الحقيقة يا فيلسوف الحقيقة ؟

أناكسارخوس : الحقيقة أوردت كليتوس موارد التهلكة وأودت بفيلوتاس وبارمينو إلى حتفهما . . وألقت بكاليستين فى القيد . . (يتنهّد) هيه . . وما نفع الحقيقة لى . . وهل ستتقدّم لإنقاذى حينما يلتف حبل الجلاد حول عنقى . . أم أنك ستوثق الحبل وتحكم رباطه عملاً بأوامر الإسكندر .

بطليموس : وحقّ جوبيتر إنها لتكون لذّة لا تقدّر . . أن أشنق هذه الرقبة التى طالما تطاولت علينا بالباطل والزيف والملق .

أناكسارخوس : (يضحك فى سخرية) من يقول هذا بطليموس . . ملك النفاق والتزوير والملق ، دعنى أطالع وجهك المكشوف (يضحك) إنك تكاد تستحق لقب مزوّر الجيش الرسمى .

(يقبل الإسكندر من خيمته . . يقترب بتؤدة محملقًا فى أسيره المكبّل بالسلاسل . . ثياب الإسكندر ظهر عليها البلى من آثار المعارك . . ووجهه ظهر عليه السن . . ولكنه ما زال صلبًا سامقًا .
تيبيرا تسرع عند رؤية سيدها لتتكوّم عند قدميه . .

الإسكندر : كيف حال مؤرخنا العظيم . . الساهر على حمى التاريخ ؟

بطليموس : (فى أسف) إنه بخير حال . . يأكل بشهيّة الثور . . ويشرب بظمأ الحصان .

كاليستين : (فى تحدّ) إنه ما زال حيًّا يرزق .

الإسكندر : (ساخرًا) هذا حسن . . إذن فالحقيقة حيّة ترزق . . أليس كذلك . . الحقيقة التى ستبلغها إلى العالم . . لكم أتمنى أن أقرأ هذه الحقيقة التى ستكتبها .

كاليستين : (فى ثقة) إنك لن تكون حيًّا لتقرأها . . ستكون متّ وشبعت موتًا .

الإسكندر : يا لك من رجل متفائل . . أتظن أنك ستعيش إلى ما بعد موتى ؟

كاليستين : الحقيقة هى التى ستعيش إلى ما بعد موتك .

الإسكندر : (ساخرًا) عيبك أنك تثق أكثر ممَّا يجب بحقائق التاريخ . . وهذا هو الذى يشكّكنى فى حكمتك (فى نبرة توكيد) التاريخ يا صديقى يمليه الأقوياء أمثالى على الضعفاء أمثالك . . والضعفاء أمثالك يبلغونه للدنيا على أنه حقيقة . . ولا حقيقة هناك سوانا نحن القادة .

كاليستين : (بشدّة) لا أحد يستطيع أن يملى علىّ شيئًا .

الإسكندر : (يضحك) التاريخ لن يتوقّف لأنك ترفض الإملاء ، فهناك مئات غيرك يقبلون إملائى ويكتبون ما أشاء . . وغدًا يكونون هم المؤرّخون الثقات الذين يملئون مكتبات الدنيا بوثائقهم النادرة وتكون أنت فى عداد المرحومين المأسوف على شبابهم الذين لا يسمع بهم أحد .

كاليستين : من هم هؤلاء الذين يكتبون لك ؟

الإسكندر : (فى زهو) أرستوبول . . بوزانياس . . بطليموس ابن لاجوس . . ديمتريوس . . كليون .

كاليستين : (فى اشمئزاز) نكرات . . توافه . . لا يعتدّ برأيهم . . ولا حساب لهم .

الإسكندر : (فى توكيد) سأجعل أنا لهم حسابًا وسأجعل لرأيهم شأنًا . . وسأنشر أقوالهم وأفرض آراءهم وأذيع مدوّناتهم . . وأجعلها مقدّسة . . ألست أنا إمبراطور العالم من مشرقه إلى مغربه ، ألست امبراطور مقدونيا وطروادة ومصر وسوريا وفارس والهند . . من سواى يحكم هذه الأراضى . . وأنت ما مكانك إلى جوارى . . إلى جوار الـ . . الإسكندر .

كاليستين : أنا كاليستين . . المؤرّخ .

الإسكندر : (يضحك . . وينحنى فى سخرية) تشرفنا أيها الـكاليستين . .

(يضحك بشدة ثم يشير إليه بأصبعه) وأنت أيضاً سوف تكتب لى .

كاليستين : (فى استنكار) أنا .

الإسكندر : نعم أيها الأبله . . سوف يتولّى أرستوبول وبوزانياس وبطليموس تزييف ما يشاءون على لسانك . . وتنقل المزاعم المكذوبة استنادًا إلى روايتك . . إلى رواية المرحوم الطيب الذكر كاليستين . . الذى مات بالحمّى فى كابول . . سوف تقرأ الدنيا مسودات لم تكتبها ومخطوطات لم تحلم بها موقّعة باسمك الكريم أيها الـ كاليستين الذى متّ بالحمّى فى كابول .

كاليستين : (فى جنون) ولكنى لم أمت . . أنا ما زلت حيًّا .

الإسكندر : (يصرخ فى جنون) قلت لك لقد متّ بالحمى فى كابول . . لقد كتب المؤرخون هذا .

كاليستين : (يصرخ) . . أنا حىّ . . أنا حىّ أرزق (يبكى وينشج رافعًا يديه المكبلتين بالسلاسل إلى السماء) أيتها الآلهة العادلة . . يا حماة الحقيقة المقدّسة هأنذا خادمك مكبّلاً بالسلاسل . . سجين الظلم . . أنقلى للعالم مصيرى . . لا تدعى الأكاذيب تطمس نور الحقائق الأسمى .

الإسكندر : (يصرخ) أيها المجنون . . أىّ آلهة تحدّث . . حدثنى أنا . . لم تعد هناك آلهة فى السماء . . لقد أخضعت من فى

الأرض . . وأخضعت من فى السماء . . لم يبق إلاّ أنا . . الإسكندر . . الإله الوحيد الذى تستطيع أن تلجأ إليه (يشاور إليه) هيّا أيها المجنون . . الجأ إلىّ واسألنى عن مصيرك .

كاليستين : (فى يأس) . . لن أسألك شيئاً . . لتذهب كلّ الحقائق إلى الجحيم إذا كنت أنت راعيها وملهمها . . لتستو كلّ الأشياء بكل الأشياء ، لأكن ميتًا بالحمّى فى كابول . . أو ميتًا بالمحرقة فى بابل . . لا فرق بين أىّ شىء وأى شىء . . ما دام الباطل هو الذى يحكم .

الإسكندر : (فى سرور) هذا حسن . . إن استسلامك هو عين الحكمة .

كاليستين : ولكنّى أحذرك . . إن الباطل الذى سوف يأكلنا جميعًا سوف يأكل نفسه فى النهاية .

الإسكندر : لا داعى لاستعجال النهايات . . لنكتف بأن نأكلك أوّلاً . . ولنتنعم بهذه الوجبة الدسمة .

كاليستين : (باكيًا وهو يهزّ سلاسله فى وجه السماء) لتسمعى أيتها الآلهة الشاهدة على عذابى . . إن لم تخفّى إلى نجدتى فلا محلّ لك فى قلبى بعد اليوم ، ولا وجود لك ، ولا معنى لبقائك .

بطليموس : أتهدّد الآلهة أيها الأحمق ؟

كاليستين : (يعول عويلاً مفجعًا) الطاغوت يسدّ الأبواب فى وجهى . .

الطاغوت يجثم على عقلي . . أشعر له ضغطاً كأنه ثقل من حديد على أعصابي . . (يرتمي يائساً على الأرض) . . آه . . لا فائدة . . لا فائدة . ماذا يستطيع واحد أن يفعل في جيش من الشياطين .

الاسكندر : إنه يستطيع أن يشنق نفسه بدلاً من أن يترك لنا هذا الشرف . . (ملتفتاً إلى أجيس) أجيس . . شاعرنا الملهم . . غنّ لنا أغنية عن شنق كاليستين .

أجيس : (يترنم)

ملعونة طينته
ملعونة سيرته
أولى به أن يموت
معلقاً من رقبته

كاليستين : (ساخراً) أراهن أنك تقصد الإسكندر بهذا الكلام .

أجيس : أيها اللئيم .

كاليستين : سوف أكتب هذا في أوراقي .

الإسكندر : تستطيع أن تحفر الأرض بأسنانك لتكتب عليها . . ولكنك لن تستطيع أن تكتب ورقة واحدة .

كاليستين : (صارخاً) . . وأنت أيضاً لا أمل لك أيها الإسكندر بدوني . . تاريخك بدون كلماتي . . نقش على الماء . . لا يوجد سواي من يملك الحكمة والخلود . . لقد شربت

الحكمة من ينبوعها . . من أرسطو.

الإسكندر : إلى الجحيم أنت وأرسطو . . لو أن أرسطو كان هنا لشنقته معك .

كاليستين : لقد كان أرسطو حكيمًا . . فلم يأت . . وفّر على نفسه السير فى ركاب المتصرين . . الويل للحكماء من المتصرين .

الإسكندر : (فى زهو) سيذكر التاريخ أرسطو بأنه معلّم الإسكندر . . وسيندثر اسمه ولن يبقى له من التعارف سوى صفته بأنه معلّمى .

كاليستين : سوف يعرف أرسطو من هو تلميذه حينما تصله أخبارك . . إن الجرحى العائدين إلى مقدونيا يحملون معهم أخبارك وبربريّتك إلى عالم أثينا المتمدّن . . وغدًا يكتب عنك أرسطو ما لا تستطيع أن تمحوه . . إن عارك يتسرّب من ملايين الخروق . . وغربال التاريخ لا أحد يستطيع أن يسدّ كلّ خروقه . . لا أحد يستطيع أن يغلق نوافذه . . ولو كان الطاغية الإسكندر .

الإسكندر : (يصرخ) اسكتوا هذا الرجل . . اقطعوا لسانه . . لا أريد أن أسمعه يتكلم .

أجيس : (يترنّم)

ملعونة طينته

ملعونة سيرته

أولى به أن يموت

معلّقًا من رقبته

الإسكندر : (يصرخ) اشنقوه . . إن صوته يخرق أذنى ، لا أريد أن أسمعه يتكلم . . أين جلادى ليشنق ذلك الكلب ويعلّقه على شجرة فى الغابة . . لا أريد أن أسمع صوته بعد الآن .

(تخرج تيبيرا لتدعو الجلاّد) .

كاليستين : (يصرخ) سوف تسمع صوتى . . سوف يكون صوتى وأنا ميت أعلى من صوتى وأنا حىٌ سوف يكون صراخًا فى أذنيك لا قبل لك بإسكاته .

الإسكندر : (يسدّ أذنيه) اشنقوه . . لا أريد أن أسمع صوته .

كاليستين : لن يجديك أن تسدّ أذنيك . . إنك تسمع صوتى بقلبك . . إنك تسمعه بضميرك .

الإسكندر : (يضغط على أذنيه بشدّة) اشنقوه .

(تقبل تيبيرا ومعها جندى شديد المراس . يهجم الجندى على كاليستين فيحمله هو وسلاسله ويذهب به إلى أقصى المسرح فى الخلف حيث تبدو أشجار الغابة . . ويبدأ فى الإعداد لشنقه) .

كاليستين : (ما زال يصرخ ويلوّح بذراعيه) سوف تسمع صوتى يجلجل كأجراس نهايتك . . سوف يجثم شبحى على أنفاسك . . سوف تردّد كلماتى آلاف الألسن وتذيع روايتى آلاف المخطوطات . . لا مهرب لك منّى . . أنا كلّ الأبصار والأسماع .

(يبدو الجلاد من بعيد وهو يضربه بعنف . . ثم وهو يعلّقه من عنقه . . ثم يسود الصمت فجأة . . صمت الموت) .

الإسكندر : (يرفع يديه من على أذنيه) يا للسكون الرائع . . يا للصمت الرهيب . . لقد سكت المجنون أخيرًا وإلى الأبد . . وسكت معه التاريخ . . (يتمطّى فى راحة . . ويشمخ بقامته) أخيراً أستطيع أن أعمل بدون أن يقاطعنى الضجيج . . أستطيع أن أمضى كالطائر دون أن أشعر بأيد تثقلنى . . (يتلفّت حوله) أين حصانى . . أين عجلتى الحربية . . انفخوا الأبواق . . ليستعدّ كلّ الجنود . . سوف نزحف إلى الشرق . . إلى الشرق . . لم يبق على بلوغنا نهاية العالم إلاّ القليل .

(يجرى نحو خيمته ليستعدّ ومن خلفه تجرى تيبيرا .
القواد ينظرون إلى بعضهم فى حسرة . . وخيبة أمل) .

برديكاس : (وقد نفد صبره) إلى أين يريد أن يزحف بنا ذلك المجنون . . لقد مرت علينا اثنتا عشرة سنة فى زحف متّصل من مقدونيا حتى بلغنا الهند . . ولم تبق من الفرقة المقدونية التى بدأنا الزحف بها إلاّ بضع مئات كلّهم بلغوا سن الشيخوخة وأوهنتهم الجراح والمعارك وتمزّقت ثيابهم وتثلّمت سيوفهم وتكسّرت حرابهم .

بطليموس : (ساخرًا) بضع مئات تبقّوا من ثلاثين ألف مقاتل مقدونيا . .

برديكاس : (فى يأس) لم يعد الجيش مقدونيًّا . . لقد انتهت الفرقة

المقدونية . . وأصبح الجيش مؤلّفًا من ألوف المرتزقة . . من الفرس والبربر والهنود والسوريين والمصريين . . ماذا يريد أن يفعل بهذا الجيش المهلهل ؟

أجيس : لقد جنّ الرجل . . لقد فقد عقله .

برديكاس : ولأىّ هدف نحارب . ولأىّ هدف نزحف . . وماذا يريدنا أن نفتح . . لقد فتحنا آسيا وجبنا الشرق طولاً وعرضًا . . وأخضعنا الممالك . . وحطمنا العروش . . وأنزلنا الأباطرة من حكمهم وأقناه مكانهم . . ماذا يريد أكثر من هذا ؟!

أناكسارخوس : (ساخراً) يريد أن يبلغ نهاية العالم . . ويحقق نبوءة آمون فتكون له الأرض قاطبة .

برديكاس : وماذا نكسب نحن من وراء هذا ؟

برديكاس : لقد غنمنا كفايتنا من أكياس الذهب والجواهر . . وبقى الآن أن نعيش لننفقها ونستمتع بها . . فى خيامنا أكياس من الذهب والفضة والجواهر ونحن نزحف ممزقى الثياب مقطعى الأوصال قد تهدّلت لحانا وتساقطت أسناننا . . ما فائدة كلّ هذا الذهب . . إننا ننتحر . . لابدّ أن نفعل شيئًا .

هيفستيون : (فى خوف) أنا لا قدرة لى على معارضة الإسكندر . . افعلوا

ما شئتم بعيدًا عنى . . أنا لا أستطيع أن أقف فى طريق هذا الرجل .

بردیكاس : لابدّ أن تتّحد معنا . . إن هذا مصيرنا جميعًا . . إن لم تقف فى طريقه اليوم فإنه سوف يدوسك غدًا . . وليس أمامك إلا أن تختار الميتة التى تموت بها . . إما أن تموت وأنت تقاتل من أجل أطماعه . . أو تموت معلّقًا من عنقك مثل كاليستين . . وأطماعه لا نهاية لها . . كلما دككت حصنًا فإنه واجد لك حصنًا وراءه . . ولا نهاية . . إننا نلهث وراء رجل مجنون . . رجل يغزو لمجرد الغزو . . ويحارب لمجرد الحرب . . ويقتل لمجرد القتل . . وسنظل نحارب وراءه حتى نموت . . ولا نهاية . . ولا أمل لنا غير هذا .

أجيس : إننا الآن على مسيرة اثنتى عشرة سنة من مقدونيا . . من بلادنا . . من أهلنا . . وزوجاتنا . . وأولادنا . . وقد لا نجد فسحةً من العمر لنعود فيها ونلتقى بأحبائنا . . إننا مشرّدون أفّاقون مقطوعو الصلة بالعالم . . ومقضىٌّ علينا بالفناء إذا ظللنا نسير وراء هذا المجنون .

هيفستيون : وما العمل ؟

بردیكاس : العمل هو أن نعلن العصيان ونؤلّب الجيش . . إن الجيش الآن فى حالة إعياء تام . . والجنود فى حالة ملل وتعب

وإنهاك . . الجيش فى انتظار إشارة بالعصيان فيصبح كلّه يدًا واحدةً ، وفى حركة واحدة يعطى ظهره للإسكندر ويعود زاحفًا صوب مقدونيا .

هيفستيون : نعصى أوامر الإسكندر ؟ ! ! غير معقول .

أناكسارخوس : (ساخرًا) هل صدّقت أنه إله ؟

هيفستيون : (فى سذاجة) نعم أنا أعتقد أنه إله .

أناكسارخوس : إنه إله فقط بتأييدنا . . بإجماع أربعين ألف مقاتل على طاعته . . هذا هو سرّ ألوهيته ، وسترى كيف يتحول الإله إلى بشر حينما يرفض عباده أن يصلّوا من أجله .

هيفستيون : وماذا تطلبون منى أن أفعل ؟

برديكاس : إنك بهذه الرعدة التى تجرى فى أوصالك لا تصلح لشىء . . وحسبك أن تلبث مكانك وتؤيّدنا . . ولا تتآمر ضدّنا .

هيفستيون : (فى ذعر) أعدكم بهذا .

بطليموس : إنه يغرينا بالذهب المكدّس فى خزائنه أكداسًا . . والجواهر المكوّمة أكوامًا .

برديكاس : أما أنت يا بطليموس فعليك أن تجمع رؤساء الفرق وتؤلّبهم على الإسكندر . . وسوف تجد أنهم فى انتظار هذه الإشارة منك . . وأنهم متعطّشون أكثر منك للعودة إلى بلادهم .

بطليموس : سأفعل هذا من الآن . . فى التوّ واللحظة .

(ينطلق بطليموس فى اتجاه المعسكر .

يلبث برديكاس وقد أغرق فى التفكير وقد بدت تعبيرات وجهه جادة صارمة .

هيفستيون يسترق النظر من لحظة لأخرى لمنظر كاليستين المشنوق فى الغابة ويرتجف ذعرًا . . أجيس يتفش بخنجره فى الرمال . . وأنا كسارخوس تبدو عليه السعادة .

يقبل الإسكندر فى خفّة) .

الإسكندر : إن الادلاّء يقولون إن هناك قرية سنبلغها بعد مسيرة ساعة ، وهى قرية خالية ليست فيها حامية ولا جيش ، وسوف ندخلها بلا مقاومة . . وبعد ذلك تبقى أمامنا صحراء نقطعها فى مسيرة عشرة أيام . . وبعد ذلك نبلغ نهاية العالم .

برديكاس : إننا لسنا مستعدّين لهذا الزحف يا سيدى القائد .

الإسكندر : (فى دهشة) ماذا تقول يابرديكاس ؟

برديكاس : أقول إننا لسنا مستعدّين لهذا الزحف .

الإسكندر : (فى استنكار) لمن توجّه هذا الكلام . . أهو عصيان ؟

برديكاس : إنه أمر واقع وليس عصيانًا . . إن الجيش فى حالة لا تسمح له بالزحف . . الفرقة المقدونية التى بدأت بها من مقدونيا انقرضت ولم يبق منها إلاّ مئات من العجائز والجرحى وذوى العاهات . . وباقى الجيش من المرتزقة

ونحن بعد هذا الزحف الطويل على ما ترى من سوء الحال . . ممزّقى الثياب طوال اللحى . . زائغى الأبصار . . نتساقط إعياءً ومرضًا وتعبًا . . هل هذا جيش تقوده إلى نهاية العالم . . ولماذا نحارب وقد غنمنا كفايتنا من كل شىء ؟

الإسكندر : (يصيح فى غضب) المجد يا برديكاس . . المجد ، نحارب من أجل مجد مقدونيا . . من أجل أن نفتح العالم ونرفع عليه رايه مقدونيا . . لماذا لا تتكلم يا أناكسارخوس وتردّ على هذا الأحمق !

أناكسارخوس : (فى شماتة) لأنى فى الواقع أوافقه على كلّ ما يقول .

الإسكندر : (مصدومًا) آه . . (مشيرًا إلى باقى الموجودين) . . وأنتم أيضاً توافقون على هذا التجديف ؟

أجيس : (منتقمًا لنفسه من كلّ الإذلال الذى ذاقه) أنا أؤيّده بشدّة .

الإسكندر : وأنت أيضًا أيها الشاعر الأبله . . ماذا تبقى لى من أصدقائى وأحبائى .

هيفستيون : (مرتجفًا) أنا .

الإسكندر : أنت معى . . هه . . أنت تستنكر هذه المؤامرة الحقيرة . . قل هذا . . أبصق على وجوه هؤلاء الضعفاء المتردّدين .

هيفستيون : (مرتجفًا) أنا . . أنا معهم .

برديكاس : إن الجيش فى حالة هياج وعصيان . . وقد ذهب

بطليموس ليهدىء الجنود . . لا أحد يريد أن يزحف شبرًا واحدًا إلى الأمام . . إن نصف الجنود جرحى والنصف الآخر مشوهون ومتعبون ويائسون . . وكلهم قد اشتاقوا إلى العودة إلى بلادهم والاكتفاء بما غنموه . . وبالنسبة للجندى العادى فهو يفضل بضعة تالنتات من الفضة يعود بعدها حيًّا إلى أهله على أكياس من الذهب يموت قبل أن ينفقها .

الإسكندر : (صارخًا) وهل الحرب مسألة غنائم . . هل الحرب مسألة ذهب وفضة . . الحرب طموح لا حدّ له . . الحرب تحدٍّ للقدر . . الحرب شهوة انتصار .

برديكاس : هذا صحيح بالنسبة للإسكندر . . أما بالنسبة للجندى العادى فالحرب مهنة يكسب منها .

الإسكندر : وبالنسبة لك أيها القائد الهمام . . ماذا تكون الحرب ؟

برديكاس : الحرب بالنسبة لى استنفدت أغراضها . . لقد كسبنا لمقدونيا من المجد والشرف والثراء ما يكفى .

الإسكندر : (صارخًا) الحرب لا تستنفد أغراضها أبدًا . . الحرب بالنسبة للجندى غاية وليست وسيلة .

برديكاس : (يلمح بطليموس قادمًا فى وفد من رؤساء الفرق) عليك أن تقنع جنودك بهذا . . واحدًا . . واحدًا .

بطليموس : (يؤدّى التحية العسكرية) الضباط يبلغونك أن الجيش ليس

في حالة تمكّنه من الزحف . . الجنود متعبون . . ويرفضون الحرب .

الإسكندر : الجنود المتعبون يمكننا أن تؤلف منهم حاميةً تبقى في الهند والباقون يحاربون معنا .

بطليموس : ليس هناك باقون إنهم جميعًا متعبون . . . وهؤلاء ضباطهم .

(يتقدّم أحد الضباط) .

الضابط : إننا لا يمكننا أن نحارب في هذه الظروف . . الجيش في حالة تذمّر وهياج .

ضابط آخر : كتيبتي تريد الإذن لها بالعودة .

ضابط ثالث : فيلق الفرسان الذي أقوده بدأ يستعدّ للعودة إلى بلاده .

ضابط رابع : فرقة المشاة ترفض الأوامر بالزحف .

ضابط خامس : فرقة المهندسين رفضت العمل .

الإسكندر : (يصرخ) إنها مكيدة إذن . . مؤامــرة عصيان مدبّر . . لتحولوا بيني وبين امتلاك العالم حينما أوشكت على بلوغ النهاية .

برديكاس : (ساخرًا) يمكنك أن تفتح العالم وحدك بمساعدة آمون .

الإسكندر : (يصرخ) أتسخر مني ؟

برديكاس : ألا تكفيك مؤازرة الإله الأعظم بقوته اللانهائية ؟

الإسكندر : (يقفز فوق تل ويلوّح بسيفه مخاطباً جنوده) :

من لا يريد أن يحارب معى يمكنه أن يعود إلى بلاده . . أنا لن أرغم أحدًا على أن يتبعنى . . إنى أقود جيشًا من الأحرار . . ولن أقيّد جنديًّا بعجلتى وهو كاره . . من يريد أن يتبعنى إلى نهاية العالم ليكون له ملك الأرض قاطبة فليتبعنى . . ومن يختار الجبن والأمان فليعد من حيث أتى . . ولو اقتضى الأمر أن أحارب وحدى حتى الموت فسأحارب وحدى .

(يعطيهم ظهره ويذهب موغلاً فى الغابة ليحارب وحده ويمتلك العالم .
ينظر القواد والضباط إلى بعضهم فى دهشة .
يختفى الإسكندر فى دروب الغابة .
يهمهم القوّاد فى استغراب ويميلون على بعضهم البعض) .

هيفستيون : هل سيذهب حقًّا ليحارب وحده هو وآمون !

أناكسارخوس : لا تصدق أيها الأبله . . إنها مناورة . . ما يلبث أن يعود بعدها طيّعًا وديعًا كالحمل الذلول . . بعد أن يكون قد جرّب أباه آمون وجرب بلاءه فى الحروب .

هيفستيون : مستحيل . . لا أصدق أنه ينهزم . . أراهن أنه سيفتح العالم وحده .

برديكاس : (يضحك) سوف يكون مسليًا أن يفتح العالم وحده . . إنها لتكون موقعة تستحق الفرجة .

أجيس : وحقّ جوبيتر . . إنه لمنظر شاعرىّ . . أن يذهب الإسكندر

وحده ليحارب العالم . . ويختفى هكذا كالإله زيوس فى الغابة . . إنها لحكاية أشبه بالملحمة الشعرية .

بطليموس : إنى أدفع كل ما أملك لأعرف ما يدور فى رأس الإسكندر فى تلك اللحظة العصيبة . . وهو يتجوّل وحده فى الغابة . . ويزحف ليغزو الأرض قاطبةً .

أناكسارخوس : إنها ستكون لحظة لن ينساها . . ربما غيّرته إلى الأبد .

هيفستيون : إنى نادم لأنى خذلته . . إنى حزين . .

(يهم بالذهاب وراءه فى الغابة) سوف أذهب فى أثره .

برديكاس : (يمسك بكتفه ويمنعه من الحركة) لا تتحرك .

هيفستيون : لا أستطيع أن أدعه وحده هكذا .

برديكاس : اطمئن يا صغيرى . . إن الذئاب لن تأكله .

هيفستيون : (فى إشفاق) إنه لم يأخذ معه طعامًا ولا شرابًا .

برديكاس : إن الآلهة لا تأكل ولا تشرب .

هيفستيون : ولم يأخذ معه خيمةً لينام فيها . . كيف ينام وسط الأفاعى والهوام ؟

برديكاس : إن آمون سوف يحرسه . . وسوف يعدّ له فراشًا من زهور اللوتس .

أناكسارخوس : أراهن أنه سيبيت بيننا الليلة . . وأنه لن تمرّ دقائق حتى يعود مجرّرًا أذيال الندم .

أجيس : سوف يكون شيئًا طريفًا أن يفكّر لأول مرّة . .

بلا جيش ، بلا قيادة ، بلا جنود يأمرهم ، بلا ضباط يضع لهم الخطط . . سوف يفكر لنفسه بلا أعباء . . أخشى أن تعجبه هذه الحياة السهلة فيمضى فيها .

أناكسارخوس : سوف تكون حياة بالغة الصعوبة . . سوف تكون حياة مستحيلة . . إنه قائد . . خلق ليقود . . ويأمر . . ويدير . . ولا معنى لوجوده بلا أوامر . . بلا إرادة . . سوف يكتشف أن اللحظات التى يعيشها أصبحت بلا معنى . . وسوف يعود مهرولاً ليلقى بنفسه فى أحضاننا .

هيفستيون : إنها لتكون أسعد لحظاتنا . . ياليته يعود . . إننا لنعيش حياتنا أيضاً بلا معنى بدونه . . إننا لنتحوّل إلى قافلة من قطاع الطرق بلا هدف بلا رسالة . . إننا ننتصر بالشائعات التى يتناقلها أعداؤنا عنه وعن ألوهيته وإرادته التى لا تهزم . . إننا ننتصر باسمه الذى يلقى الرعب فى قلوب الجميع . . وبدونه تسقط عنا هالة الشجاعة والقداسة والحصانة الإلّهية ونصبح جيشًا كأىّ جيش .

وهل نسيتم أننا نحن أيضًا نحارب بالحماسة التى بثّها فى قلوبنا . . من الذى أخرجنا من مقدونيا وألقى بنا فى هذه الأحراش والغابات الموحشة على بعد اثنتى عشرة سنة من ديارنا ؟ إنه هو . . كلماته . . أحلامه التى زيّنت لنا العالم المجهول . . وزينت لنا الحروب فأصبحت حفلات مجيدة

ومغانى للبطولة والشرف . . وبدون هذه الكلمات تنكمش ظلالنا . . وتذوى أحلامنا . . ونتحوّل إلى عصابة من الأفّاقين . . يقتلون . . وينهبون . . بلا هدف .

برديكاس : وهذا ما نفعله فى الواقع . . هذه هى الحقيقة المريرة التى اتضحت لنا أخيراً . . لا أحلام هناك إن الأحلام هى أحلامه هو . . وما نحن إلاّ مجنّدون فى خدمة هذه الأحلام . . ما نحن إلاّ أفّاقون مخرّبون نقتل وننهب فى سبيل أوهام رجل مجنون .

أجيس : إن عيب هيفستيون أنه شاعر أكثر منه محارب ، وأنه حبيب الإسكندر أكثر منه رجل منصف .

هيفستيون : إنكم تخونون أنفسكم وتظلمون بطولاتكم وتتنكّرون لماضيكم الشريف . . إنكم نشرتم راية مقدونيا على آسيا . . ورفعتم اسمها عاليًا على كلّ الأسماء . . وعلى كلّ البلدان . . وعلى كلّ الممالك . . ألا يكفى هذا فخارًا . . إنكم دوّختم جيوش العالم وأذقتموها مرارة الجندى المقدونى . . إنكم رأيتم أعاجيب الدنيا السبع وتعلّمتم الحكمة .

أناكسارخوس : فى هذا أنا أوافقك . . لقد تعلّمت فى هذه السنوات الاثنتى عشرة من الحكمة والمعرفة ما لم أكن قادرًا على

تعلّمه فى ألوف السنين لو أنى عشت كرجل مدنى مسالم فى قريتى بمقدونيا .

أجيس : ولكنها حكمة باهظة التكاليف . . غالية الثمن .

هيفستيون : لا شىء يعطى مجّانًا فى هذه الدنيا .

أناكسارخوس : أشكر آلهتى على أن الذى دفع ثمن هذه الحكمة التى تعلمتها إلى الآن هم الحمق الآخرون ولست أنا .

أجيس : سوف يأتى اليوم الذى تدفع فيه هذه الديون مضاعفة أيها اللئيم .

أناكسارخوس : أرجو ألاّ أعيش إلى هذا اليوم .

(يظهر الإسكندر فى مؤخرة المسرح يمشى ببطء نحو المعسكر ورأسه منكس) .

أجيس : **(مهلّلاً ومشيرًا بأصبعه) ها هو .**

(أصوات متصايحة فى وقت واحد) .

– الإسكندر

– الإسكندر

– انظروا ها هو ذا قد عاد .

– شكرًا للآلهة

بطليموس : يخيل إلى أنى أرى رجلاً آخر غير الإسكندر .

برديكاس : لقد تحطمت خرافة ابن الإله . . إن هذا الذى يعود الآن برأسه منكسًا هو بشر مثلنا .

هيفستيون : (فى حزن) لقد فقدنا شيئًا كثيرًا بتحطّم هذا الذى تسمّونه خرافة . . لقد فقدنا الإيمان . . الإعجاب . . الانبهار .

أناكسارخوس : سوف نرى ماذا بقى من الإسكندر . . إنى متشوّق لما يقوله .

(يقترب الإسكندر وهو ما يزال يمشى ببطء . .
يعتلى الربوة التى كان واقفًا عليها ثم يتكلّم بهدوء) :

الإسكندر : يا جنودى . . يا أحبائى . . لقد فكّرت طويلاً فى مطالبكم فوجدت أنها مطالب معقولة . . لقد نسيت فى نشوة انتصاراتى أنكم لبثتم معى اثنتى عشرة سنة فى حروب مستمرة . . وأننا فقدنا فى هذه السنوات الاثنتى عشرة الكثير من جنودنا . . والكثير من عمرنا . . وأنه من الطبيعى أن نفكّر فى العودة . . وأنه من حقكم أن أتخلّى عن طموحى وأضحّى بالعالم الذى أصبحت على مشارفه فى سبيل راحتكم . . ولهذا فقد قررت النزول على إرادتكم . . واعتزمت أن أقودكم على طريق العودة .

(القواد والضباط والجنود الذين يتابعون كلمته فى تأثر عميق يتفجرون فى هتافات فرحة ويجرون إليه . . ويحملونه على الأعناق) .

برافو . . برافو . . يحيا القائد . . يحيا الرائد . . يحيا الأب . . يحيا الإنسان .

بطليموس : لنحتفل بهذه اللحظة التاريخية . . لنحتفل بقائدنا الراعى

والرائد الذى لم ينهزم ولم يخضع ولم ينزل على رغبة أحد . . لتحتفل بنزوله عن رغبته للمرة الأولى احترامًا لرغبة قوّاده .

لتحتفل . . لنفرح . . لنسكر كما لم نسكر . . الخمر . . الخمر . . يا ساقيات الخمر . . الخمر .

(تدخل تيبيرا ووراءها جوار ومحظيات يحملن أوانى الخمر . . يمتلىء المنظر بالضجيج والتصفيق والهتاف وتقارع الكئوس والغمز واللمز والمزاح .

الإسكندر يجلس على الأرض فى مقدمة المسرح وعلى جانبيه برديكاس وبطليموس . . وعند قدميه تيبيرا . . وجهه يبدو عليه الحزن والاستسلام . . يبدو وكأنه رجل آخر . . وكأنه فى وادٍ والباقون فى وادٍ آخر .

برديكاس : (يملأ كأس الإسكندر) هذه الكأس لك .

الإسكندر : (يفرغها فى جوفه دفعة واحدة ويلقى بالقدح هامسًا) : لقد انتهى الإسكندر . . لقد تقهقر وعاد على أعقابه . . لوى عنان جواده . . وعاد من حيث أتى . . لقد انتهى .

(يحملق فى حزن فى الموجودين كأنه لا يعرفهم)

– أين العرّاف بوزانياس . . أريد أن أرى العراف بوزانياس . . أريد أن أسأله نبوءاته .

(يذهب أحد الجنود باحثًا عن بوزانياس) .

تيبيرا : (تهمس إلى الإسكندر) سيدى . . إلهى . . مولاى لماذا أنت حزين ؟

الإسكندر : لم أعد مولى لأحد . . لقد خذلنى الجميع .

تيبيرا : أنا لن أخذلك أبدًا .

الإسكندر : إنك لم تكونى معى فى الغابة .

تيبيرا : وماذا حدث لك فى الغابة .

الإسكندر : فقدت روحى . . طار قلبى من جسدى . . تحطّمت أجنحتى .

تيبيرا : إن الآلهة حينما تفقد أرواحها تنبت لها أرواح جديدة .

(يقبل العراف بوزانياس فى صحبة الجندى . . وهو الآن أعمى وعجوز ومتهالك) .

الإسكندر : هو ذا بوزانياس . . تعال يا أبتاه اقترب منى . . وقل لى ماذا تقول آلهتك .

بوزانياس : **(يقترب منه ويتحسّس وجهه وجبهته)**
الآلهة تباركك . . وتنصحك بالعودة . . إن نجوم النحس محتشدة فى أبراجها الشرقية وليس من الصواب أن تذهب إلى الشرق .

الإسكندر : شكرًا يا أبتاه . . سآخذ بنصيحتك .

(يعود بوزانياس)

الإسكندر : **(هامسًا)** أرأيت يا تيبيرا . . حتى الآلهة خذلتنى . . لا أحد

يريد أن يذهب معى إلى نهاية العالم .

تيبيرا : سوف أذهب معك أنا إلى نهاية العالم .

الإسكندر : إن النساء لا نفع لهن .

تيبيرا : سوف أحارب معك . . سوف أموت من أجلك .

الإسكندر : ليت هذا يجدى .

تيبيرا : ماذا أستطيع أن أفعل من أجلك . . أريد أن أساعدك . . إنى أحبّك .

الإسكندر : لا أحد يستطيع أن يفعل من أجلى شيئًا . . إنى روح ضائعة .

(صراخ كاليستين المشنوق تردِّد أصداؤه فى الغابة) .

صوت كاليستين : سوف يجثم شبحى على أنفاسك . . سوف يكون صوتى وأنا ميت أعلى من صوتى وأنا حىّ سوف يكون صراخًا فى أذنيك لا قبل لك بإسكاته .

الإسكندر : (يسد أذنيه فى فزع) أتسمعين هذا الصراخ ؟!

تيبيرا : أىّ صراخ يا مولاى . . إنى لا أسمع شيئًا .

صوت كاليستين : لن يجديك أن تسدّ أذنيك . . إنك تسمع صوتى بقلبك . . إنك تسمعه بضميرك .

الإسكندر : (يتلفت حوله) يبدو أن لا أحد يسمعه . . لا أحد يسمع ذلك المجنون سواى . . ياإلهى .

صوت كاليستين : سوف يكون صوتى المجلجل هو أجراس نهايتك .

(ستار)

الفصل الرابع

(غرفة نوم الإسكندر فى قصر بابل .
سرير من الطراز الفارسى تتدلّى من حوله الستائر الحريرية . . مائدة عليها أوان من الألاباستر وزهريات من النحاس المطروق . . كراسى مذهبة . . شمعدانات مذهبة . . الجدران والستائر عليها رسومات فارسية . . الأرض مفروشة بسجاجيد زاهية . . النوافذ مفتوحة وهى تطلّ على ساحة القصر . .
الإسكندر مريض بالحمّى ممدّد فى السرير لا يبدى حراكاً . . لا يتحرّك فيه إلاّ رأسه وعيناه . . وحوله يجلس قواده برديكاس وبطليموس وأنا كسارخوس وأجيس وقواد وضباط آخرون لا نعرفهم .
تيبرا راكعة إلى جوار فراشه . .
جوار أخريات لا نعرفهن . . وزوجات الإسكندر الفارسية يرحن ويجئن ويضعن كمّادات من الماء البارد على رأسه .
ملامح الحزن تبدو على الوجوه) .

بطليموس : إنه يعانى سكرات الموت . . إن جبينه ملتهب وعيناه حمراوان كقدحين من دم . . ولا حديث له إلاّ عن

الأسطول . . كلما فتح عينيه وواتته فرصة للكلام استدعى نارخوس ومضى يصدر إليه تعليماته عن الأسطول . . وتنظيم الأسطول وحشد سفنه فى الخليج العربى . . إنه يغزو الجزيرة العربية وهو فى فراشه . . إنه ما زال يحارب . . ويهذى بالحرب .

برديكاس : إنه لا يهذى . . إن غزو الجزيرة العربية كان خطّته القادمة . . وقد وضع ترتيبات الخطة مع أمير البحر نارخوس وقام بإعداد أسطول كبير لنقل الجنود . . وهو ما زال ماضيًا فى اجتماعاته بنارخوس كما كان يفعل فى صحته وعنفوانه .

بطليموس : إنه لا يدرك أنّه يموت وأنه لا جدوى من هذه الخطط .

برديكاس : إنه لا يعترف بالموت .

بطليموس : إنه يشير إليك يا برديكاس .

(برديكاس يهبّ إلى تلبية الإسكندر وينحنى على فراشه) .

الإسكندر : (يتكلم بمجهود ولكن بصوت واضح) لقد أمرت بتجنيد عشرة آلاف صبىّ من صبيان الفرس وتدريبهم على فنون القتال وعلى الأسلحة المقدونية وإعداد معسكر خاصّ لهم فى بابل .

برديكاس : لقد نفذت أوامرك فى ساعتها ، وأنشئ المعسكر ، والتدريبات تسير بهمّة ونشاط ، لا تقلق بالك ياسيدى .

الإسكندر : إن هذه الفرق الجديدة هي عصب الجيش . . وعليك أن تهتم بتدريبها أكبر الاهتمام .

برديكاس : إن كلّ ما تنصح به يجد منا أكبر الاهتمام يا سيدى . . اطمئن بالاً .

الإسكندر : إنك لا تستطيع أن تغزو العالم بجيش من العجائز . . أليس كذلك يا برديكاس ؟

برديكاس : تمامًا يا سيدى . . طب نفساً . . إننا نتولّى كلّ شىء ونمشى على هدى نصائحك وكلّ ما نرجوه منك هو أن تهتم بصحتك وراحتك .

الإسكندر : (ساخرًا) الراحة . . الراحة . . إنكم لا تحدثوننى إلاّ عن الراحة . . لقد مضت علىّ اثنتا عشرة سنة وأنا أزحف على قدمى فى الصحارى والوهاد والجبال والسهول والثلوج والأوحال . . ولا أعرف طعم الراحة . . ولم الراحة . . ؟ ؟ وهل أنا مريض حتى أفكر فى الراحة !

برديكاس : إنك محموم يا سيدى .

الإسكندر : لست محمومًا . . إنما هى وعكة خفيفة من أثر إسرافى فى الخمر فى الليلة الماضية . . وسوف تزول .

برديكاس : ليتها تزول يا سيدى .

الإسكندر : إن كل ما أريده هو جرعة ماء . . أشعر بحلقى جافًا .

(تناوله تيبيرا الماء . . فيشرب . . ويشرب . . ثم يتهالك على فراشه

ويغيب عن الوعى) .

بردیکاس : (يسأل تيبيرا) أعاد إلى غيبوبته من جديد ؟؟

تيبيرا : نعم . . (تبكى) . . لقد عاد إلى غيبوبته .

بطليموس : أما كان يجب أن ندعو طبيبًا .

بردیکاس : لقد هرب الأطباء من المدينة منذ أن شنق الإسكندر الطبيب جلوكياس على باب القصر عندما فشل فى علاج هيفستيون من الحمّى . . ومنذ موت هيفستيون . . والأطباء يجمعون متاعهم من بابل ويهربون .

بطليموس : يبدو أن العرافين الفرس على صواب . . لقد قالوا لنا إن الإسكندر سيلقى حتفه فى بابل . . وها نحن أولاء لم تكد تمر علينا أيام فى بابل حتى رقد الإسكندر مريضاً بتلك الحمّى اللعينة .

بردیکاس : إنى لا أصدق العرّافين . . إنهم كذّابون أفّاقون جميعهم .

بطليموس : ليتهم يكونون كاذبين هذه المرة .

(الإسكندر يفتح عينيه ويلتفت إلى برديكاس من جديد) .

بردیکاس : (يهبّ إلى جانبه) نعم يا سيدى .

الإسكندر : ابعث برسالة إلى أنتيباتر فى مقدونيا ليقوم بترحيل ثلاثين ألف مواطن مقدونى إلى آسيا . . ليستوطنوا مصر وسوريا وفارس والهند ويتزاوجوا منها فى مقابل أن تقوم بترحيل ثلاثين ألف مواطن آسيوى إلى اليونان ومقدونيا ليستوطنوا

فيها ويتزاوجوا . أريد أن تكون هذه بداية خطّة منظّمة لإذابة العناصر الآسيوية فى الأوروبية والقضاء على التفرقة العنصرية بين الاثنين . . يجب أن تعمل جميعًا على إنشاء عالم موحّد . . لا أريد أن يقال بعد الآن إن هناك أوروبيا . . وإن هناك آسيويًّا . . ستكون فتوحات الإسكندر هى الحدّ الفاصل بين العنصرية وبين الوحدة العالمية الشاملة .

بورديكاس : سمعًا وطاعةً يا سيدى . . سآمر الكتاب بأن ينسخوا الخطاب حالاً ويرسلوه مع مبعوث إلى انتيباتر .

(الإسكندر يدركه التعب من الكلام وتأخذه الغيبوبة من جديد) .

بورديكاس : (يضرب كفًّا بكف) لا أفهم ماذا يريد ذلك الرجل بالعالم .

أناكسارخوس : وماذا يبقى لمقدونيا حينما تذوب عناصرها فى مصر والهند وفارس وكافة البلاد البربرية !

أجيس : ولماذا خضنا هذه الحروب وفقدنا كلّ هؤلاء القتلى إذا كنا لا نؤمن بسيادة مقدونيا على بلاد الشرق وبربرية الشرق . . ولأىّ هدف حاربنا إذا لم يكن لرفع راية مقدونيا على هذه الأقطار المتخلفة ؟

أناكسارخوس : ولماذا تكون الحرب على إطلاقها ما دامت هذه الأخوة والوحدة والمساواة هى رائد المحارب ، لماذا حارب الإسكندر ؟ ولماذا أنزل التقتيل بالفرس والمصريين والهنود

على السواء إذا كان يعتقد أنهم إخوته . . وأنه لا فارق بينه وبينهم .

أجيس : إنه كالمعتاد أدار دفّة هذه الحروب لشخصه . . ولحسابه الخاصّ . . لا لراية مقدونيا . . فها هو ذا يتزوّج خمس زوجات فارسيّات ويفضّلهن على جواريه المقدونيات ، وهاهو ذا يدرّب فرقة فارسية على الأسلحة المقدونية . وها هو ذا يتحدّث عن وحدة أوروبا وآسيا تحت رايته وتحت اسمه . . ويقول . . أريد أن تكون فتوحات الإسكندر هى الحدّ الفاصل بين العنصرية وبين الوحدة العالمية . . إنه لا يؤمن إلاّ بنفسه . . لا يؤمن بمقدونيا . . ولا بالعالم ولا بأحد .

أناكسارخوس : إنه يثبت حتّى فى ساعاته الأخيرة . . أنه الإسكندر . . الأوحد .

برديكاس : أعتقد أنه يهذى .

بطليموس : هل ستبعث بالرسالة ؟

برديكاس : وهل من المعقول أن أكتب إلى مقدونيا هذيانًا وهل أكتب بخط يدى وثيقة إعدامنا جميعًا ؟

بطليموس : حسنًا تفعل .

أناكسارخوس : (ساخرًا) وحدة العالم . . (يضحك) يعمل فى العالم نهبًا وحرقًا وتدميرًا وتحطيماً . . ثم يزعم فى براءة الأطفال أنه

يبتغى وحدة عالمية ليس فيها أوروبى ولا آسيوى . . وحدة عالمية الكل فيها إخوة سواسية (يخبط كفًا بكف) أعترف أنى أشعر بالحيرة فى شأن هذا الرجل . . إنه لغز (فى تساؤل) كيف تمتزج فى شخصه نذالة الأساليب بنبل المقاصد . . كيف تمتزج القسوة البشعة بالرحمة التى تحنو على العالم أجمع . . كيف تمتزج الإرادة الحالمة الشاعرية بالعقل الواعى العاقل لا أفهم . كيف يكون اجتماع كلّ هذه المتناقضات فى رجل واحد؟

أجيس : إنك لا تستطيع أن تقول إلاّ أنه الإسكندر .

أناكسارخوس : أحيانًا أشكّ فى أن هذا الرجل بشر مثلنا . . وأكاد أصدق هذه الخرافة التى تقول بأنه إله .. نعم أومن بكلّ سذاجة الجندى البسيط أن الإسكندر إله (ناظرًا إلى أجيس) هل فكّرت لحظةً واحدة أن الإسكندر يمكن أن يموت ؟

أجيس : (فى إيمان ساذج) إنى لا أتصوّر أنه يمكن أن يموت . . وحتى الآن . . وهو راقد أمامى يلفظ أنفاسه لا أصدق . . لا أصدق أنه يمكن أن يموت ويفنى كما يفنى البشر .

أناكسارخوس : إنى أشعر أحيانًا أنه رجل فظيع . . فظيع . . ولكنى أحبّه . أحبه وأخافه وأكرهه وأحقد عليه وأحترمه وأحتقره وأتمنى موته ولا أتصور موته ولا أطيق الحياة بدونه . ولا أطيق

سيطرته وغطرسته فى نفس الوقت . . إن شعورى نحوه معضلة .

أجيس : إنى أحياناً أتساءل كيف لم ينهزم هذا الرجل فى حياته مرة واحدة ؟

أناكسارخوس : لأنه آمن فعلاً أنه إله . . أعتقد أن إرادته مقدّسة وأنه مبرأ من الخطأ محصّن من الأذى . . وبهذا الاعتقاد اقتحم الحصون وجابه السيوف . آمن أنّ له أبديّة رع وملك صور . . هذا الغرور هو سرّ انتصاره . . وهو أيضًا سرّ نهايته . . هذا الطموح والاندفاع . . هذا الإيمان الأبله . . هذه الرغبة العارمة بلا عقل هى التى ألقت به على فراش الموت قبل الأوان وقد استنفدت كلّ وقوده .

أجيس : أكنت تتوقّع هذه النهاية ؟

أناكسارخوس : كنت أتوقعها وأخشاها .

الإسكندر : (يصحو من غيبوبته ويشير إلى برديكاس) هل أرسلت الرسالة ؟

برديكاس : لقد قام بها مبعوث إلى أنتيباتر فى الحال .

الإسكندر : هذا حسن . . هذا حسن (يتأوه) جسمى متعب . . الآلام تفرى بدنى (يتأوه) عظامى تنسحق . . (يتأوه) ذلك الطريق اللعين الذى سلكناه عائدين من الهند . . الأوحال والرطوبة والأمطار المنهمرة ثم الجفاف والحرّ الملتهب والعطش القتّال فى صحراء خراسان . . قد هدّ قوانا .

بردیکاس : ما كان يجب أن تنزل عن حصانك وتشارك الجيش الراجل السير على قدميك . . ماكان يجب أن تفعل هذا وأنت القائد . . إن هذا السير الطويل أياماً وليالى فى الصحراء قد أهلك الجيش . . إنها تلك الصحراء اللعينة .

الإسكندر : إنها ليست الصحراء . . لا . . لوكنت أقودكم عبر هذه الصحراء إلى الأمام لما حدث لنا هذا . . وإنما كنت أقودكم إلى الخلف . . عائدًا أدراجى . . وأنا لم أخلق لأعود أدراجى . . لقد خلقت لأتقدّم . . وأتقدّم . . ولكنكم خذلتمونى ولويْتم عنان جوادى إلى الخلف . . وأرغمتمونى على أن أسير القهقرى قانعًا بما ربحت . . لقد أطفأتم جذوة الحماس الذى يتّقد فى نفسى . . ذلك التطلّع نحو المجهول الذى كان يلهمنى القوّة والثبات . . لقد خنتمونى يابرديكاس . . خنتمونى .

بردیکاس : بل فعلنا هذا حبًّا لك يا سيدى .

الإسكندر : آه . . اللعنة على هذا الحبّ الذى لا يختلف عن حبّ تيبيرا . . لو أننى تركت نفسى لتيبيرا لسجنتنى فى جنة البيت والأطفال والعشّ السعيد فى قرية من قرى مقدونيا . . ولما أصبحت الإسكندر . . تماماً كما فعلتم بى حينما قيّدتمونى بقناعتكم .

تيبيرا : (تبكى) يا حبيبى . . لماذا تتجنّى على تيبيرا دائماً . . وعلى

حبّ تيبيرا . . إن تيبيرا تعبدك . . تموت من أجل سعادتك . . تفتديك بروحها .

(تقبّل يديه)

الإسكندر : يا تيبيرا الجميلة . إنك سيئة الحظّ بحبّك . . لقد أحببت رجلاً لا أهل له ولا بيت ولا وطن . . رجلاً دأبه الفرار من بيته وأهله ووطنه .

تيبيرا : (تبكى) إنى أحبّك كما أنت . . وأحبّ الأشياء التى تتعشقها . . حتى عذابى فيك أصبحت أتعشقه .

الإسكندر : سوف أجعلك ملكة يا تيبيرا .

تيبيرا : لست أريد سوى أن أكون خادمة عند قدميك .

الإسكندر : (يتأوه) الآلام تطحننى . . عظامى تنسحق كأنما تدقّها آلاف المطارق . . أين العرّافون . . ابعثوا إلىّ بالعرافين .

(تخرج تيبيرا لتدعو العرّافين) .

الإسكندر : لابدّ أن أبارح هذا الفراش اللعين لأقود الأسطول إلى الجزيرة العربية . . لقد أعددت الخطط على أن نبحر اليوم .

(يحاول أن يقوم ويبذل جهودًا مضنية ، ما يلبث بعدها أن يرتمى من جديد فى غيبوبة) .

برديكاس : (فى قلق) إنه سوف يموت .

أناكسارخوس : سوف تكون كارثة إذا مات قبل أن يوصى بمن يخلفه . . ما العمل ؟

برديكاس : لا أحد يجرؤ أن يسأله هذا السؤال .

أناكسارخوس : إن موته دون أن يترك خلفًا سوف يعرّض جيشه للفتنة .

برديكاس : إنه لن يموت .

(يدخل العرافون . . وهم عرّافون فارسيّون غير العرّافين القدامى . . ويبدو أن العرافين القدامى قد هلكوا أثناء عودة الجيش إلى بابل) .

برديكاس : ماذا تقول لكم النجوم أيها العرافون ؟

كبير العرافين : السحب السوداء معقودة على أبراج النجوم . . ولم نستطع أن نرى شيئًا .

برديكاس : هذا فأل سيىء .

الإسكندر : (يصحو من غيبوبته . . ويتأوه ويتلوّى من الألم) أريد أن أنام (يتأوّه) . . أريد أن أتوسّد ذراع آمون . . أشعر أنى أختنق (يشهق) افتحوا النوافذ .

برديكاس : النوافذ كلّها مفتوحة يا سيدى .

الإسكندر : مئات الأيدى تخنقنى . . مئات الفرسان يقاتلوننى .

(يدخل فى مبارزات وهميّة بيديه . . ثم يشهق شهقة طويلة .
يرتمى قواده وأصدقاؤه وجواريه وزوجاته إلى جانبه يلتمسون مساعدته ولكنه يلفظ نفسه الأخير . . ويموت)

برديكاس : مات . . الإسكندر مات .

(يركع القوّاد والضباط إلى جانب فراشه يبكون . . تصرخ تيبيرا

مولولة . . تصرخ الجوارى . . تمزّق زوجات الإسكندر الفارسيّات شعورهن) .

برديكاس : سوف تحدث فوضى فى الجيش . . إذا انتشر نبأ موت الإسكندر ولم يعرف من يخلفه . . سوف تحدث فوضى .

بطليموس : أغلقوا أبواب القصر . . أيها الجنود أغلقوا الأبواب . . أخرجوا هؤلاء النسوة النائحات إلى الردهة . . لا تدعوهن يخرجن إلى شوارع المدينة .

(يندفع الجنود إلى الخارج يسوقون أمامهم النسوة . . وتسمع قرقعة أبواب القصر وهى تغلق) .

بطليموس : والآن لابدّ أن نبتّ فى أمر خلافه الإسكندر قبل أن يفلت زمام الأمر من أيدينا .

برديكاس : أقترح أن يخلف الإسكندر ابنه من زوجته الفارسيّة روكسانا .

أجيس : إن روكسانا ما زالت حاملاً وباقى على ولادتها ثلاثة أشهر ولا ندرى إن كان القادم ذكرًا أو أنثى .

برديكاس : إننا بهذا نؤجّل الفتنة التى يمكن أن تقوم على الخلافة ثلاثة أشهر .

أناكسارخوس : بل إننا سوف نشعلها . . فإن الجنود لن يقبلوا أن يقودهم ابن فارسية . . إن معنى هذا أننا قد هزمنا دارا الفارسى ثم نصبنا حفيده مكانه .

بطليموس : إذا بقينا نتناقش هكذا فلن نصل إلى قرار وسينتهى الأمر إلى فتنة . . لنوافق بالإجماع على قرار برديكاس حسمًا للنزاع . . ما رأيكم ؟

الجميع : (يردّدون صيحات) موافقون . . موافقون . . موافقون بشرط أن يكون برديكاس وصيًّا على العرش . . وعلى بطليموس إبلاغ هذا القرار للجيش وعمل الترتيبات اللازمة .

(يخرج بطليموس مسرعًا من القاعة .
برديكاس يروح ويجىء فى القاعة فى قلق وقد ارتسمت ملامح الجدّ والصرامة على وجهه .
العرّافون يرقبون ما يجرى كأنهم يتفرجون على مسرحية) .

برديكاس : (هامسًا) هذه أول معركة أحاربها وحدى .

أناكسارخوس : وسوف تكون أقسى معاركك .

برديكاس : لقد تعلّمت فى هذه السنوات الاثنتى عشرة من الحرب . . الكثير .

أناكسارخوس : إنك لم تتعلّم شيئًا . . إننا لا نتعلّم شيئًا . . إننا ننسى كلّ ما تعلّمناه فى اللحظة التى نجلس فيها على كراسى القيادة . . إن الحلقة المفرغة الشيطانية تعود لتبدأ من جديد . إنك اليوم تحادثنى ندًّا لند . . وغدًا تضعنى فى السجن . . وبعد غد تشنقنى لأنى أعرف عنك أكثر ممّا يجب .

برديكاس : إنك تخيفنى .

أناكسارخوس : إن أطماعك هى التى تخيفك .

برديكاس : إنى لن أكون إمبراطورًا . . إن ابن روكسانا هو الذى سوف يحكم .

أناكسارخوس : أيها القائد الذكى . . إنك تعلم جيّدًا أن ابن روكسانا لا وجود له . . وكل ما هناك أن روكسانا حامل . . ولا أحد يعرف متى تلد ومن تلد . . وهل تلد . . أو لا تلد .

برديكاس : (فى عنف) ماذا تقصد ؟

أناكسارخوس : ما قصدت شيئًا يا صاحب السيادة الوصى . . إنها مجرّد ثرثرة فيلسوف مخرّف لا يعرف كيف يمسك لسانه .

(أصوات كالرعد تدوى خارج القصر . آلاف الحناجر تهتف فى وقت واحد . . لا نريد الفارسى . . لن يحكمنا الفارسى . . إلى الجحيم ذلك الفارسى . . لن نعطى رقابنا لروكسانا . . أسنة سيوفنا عرش للفارسى . . مقدونيا فوق الجميع .

يهرع برديكاس إلى النافذة فى ذعر) .

أناكسارخوس : لقد بدأ الطوفان .

(الهتافات تعود مدوية مجلجلة)

لا يرث مقدونيا سوى مقدونى . . أريداوس مليكنا . . أريداوس إمبراطورنا . . أريداوس قائدنا . . يعيش أريداوس . . يحيا أريداوس .

أجيس : (فى عجب واستخفاف) . . أريداوس . . ! ! ؟

برديكاس : مستحيل . . إنها مؤامرة صغيرة . . مستحيل . .

أجيس : أريداوس . . ؟؟! ! ذلك المخبول الذى يعيش فى بابل .

برديكاس : إنه أخو الإسكندر .

أجيس : (فى استنكار) ولكنه مريض ومختلّ العقل .

(الموجودون يروحون ويجيئون حول النوافذ فى ذعر)

بطليموس : (يدخل ملطّخًا بالدم) .

لقد أفلت الموقف من أيدينا . . بابل تموج فوق بركان من الفوضى . . حتى النسوة يقتل بعضهن بعضًا . . روكسانا قتلت زوجة الإسكندر الثانية خشية أن تكون حاملاً فى طفل ينافس ولدها عرش الإمبراطورية . . وميلاجر قائد فيالق المشاة انتهز الفرصة وأمسك بزمام الموقف ونصب أريداوس امبراطوراً ومنحه حمايته . . وهو يزحف الآن على القصر .

أجيس : وماذا يريد ميلاجر هذا ؟

بطليموس : يريدنا أن نبايع أريداوس إمبراطورًا وخلفًا للإسكندر تحت وصاية برديكاس .

أناكسارخوس : (ناظرًا لبرديكاس نظرة ذات معنى) هذه شروط لا بأس بها .

أجيس : ليس أمامنا اختيار . . علينا أن نوافق حقنًا للدماء .

أناكسارخوس : (ما زال ينظر إلى برديكاس نظرة ذات معنى) يبدو أنه لا مفرّ من القبول.

برديكاس : (ناظرًا لبطليموس) حسنًا.. أبلغهم قبولنا.. (يخرج بطليموس).

برديكاس : علينا أن نشترى السلام بأىّ ثمن.. إن الجيش مهدّد بالفناء.

(هتافات فى ردهات القصر) :

يحيا برديكاس الحكيم.. يحيا القائد العظيم.. يحيا أريداوس وبرديكاس.. عاشت مقدونيا للمقدونيين.

أناكسارخوس : إن الشعب يحيّيك يا برديكاس.

برديكاس : إنها ليست تحيّات يا صديقى الحكيم.. إنها صيحات التآمر والانتقام تطالب بدينها.. إن هزائم اثنتى عشرة سنة لكل هذه الممالك سوف تنقلب ثأرًا يطالب بدمنا فى كلّ مكان. إنها صيحات الحروب المقبلة التى سوف نساق إليها.

(هتافات فى ردهات القصر) :

يحيا برديكاس الحكيم.. يحيا القائد العظيم.. يحيا أريداوس وبرديكاس.. يحيا أريداوس وبرديكاس.. عاشت مقدونيا للمقدونيين.

برديكاس : أرأيت كيف ينفخون لنا فى الأبواق.

(تفتح أبواب الغرفة ويتدفق الجنود والضباط والقوّاد يحملون «أريداوس» على أكتافهم)

الكلّ : (يهتفون) يحيا أريدْاوس . . يحيا الإمبراطور . يحيا برديكاس . . يحيا القائد . . مقدونيا للمقدونيين . . لا دخلاء بعد اليوم .

(يقف برديكاس ليتكلّم فيسكت الجميع)

سيدى الإمبراطور . . أيها الجنود البواسل . . أيها القادة الشجعان . . اليوم يموت قائدنا المظفر الإسكندر بطل مقدونيا المغوار وابن الآله ويضع إمبراطوريته الواسعة بين أيديكم لتكونوا أمناء عليها . . إن كلّ شبر من هذه الأرض المقدّسة التى فتحناها . . كلّ شبر من تلك الأرض المرصوفة بقتلانا هو جسد مقدونيا ولحمها ودمها . . هذه الإمبراطورية هى كبرياؤنا وقوّتنا . . وعلينا أن نتقاسم تبعاتها . . ولهذا فقد وزّعت هذه التبعات عليكم لتكونوا مديرين وكلاء تحكمون أجزاء هذه الإمبراطورية العريضة تحت رايه أريداوس وتحت وصايتى .

على القائد ليسياخوس أن يتسلّم حكم تراقيا . . وعلى كرايتراس أن يتسلّم حكم اليونان ومقدونيا . .

وعلى بثيون أن يتسلم إقليم ميديا . .

وعلى ليوناتوس أن يحكم منطقة الدردنيل . .

وعلى لاوميديون أن يحكم سوريا . .

وعلى بطليموس أن يحكم أفغانستان والهند . .

وسوف أتولّى أنا حكم فارس وبابل إلى جانب تولّى شئون الوصاية .

عاشت مقدونيا . . عاش أريداوس .

هتاف : عاشت مقدونيا . . عاش أريداوس .

برديكاس : وسوف توكّل شئون تشييع جثمان الإسكندر وجنازته ودفنه لأريداوس على أن يكون الدفن تنفيذاً لوصية الإسكندر فى واحة سيوة فى معبد الواحة إلى جوار الإله آمون . . وعلى أن يصنع خصيصًا لهذه المناسبة تابوت ملكىّ من الذهب الخالص وعربة إمبراطوريّة تليق بمقام الراحل العظيم . . وعلى المهندسين أن يبدأوا فى التجهيز لهذه الرحلة من الآن ، وعلى الكهنة أن يقوموا بتحنيط الميت وفقاً للطقوس الفرعونية .

هتاف : عاشت مقدونيا . . عاش أريداوس .

(ينزل «أريداوس» عن أكتاف الجند . . ويمشى فى حركة بندولية متجهًا إلى فراش الإسكندر . . وهو بحركاته ومظهره يبدو رجلاً مجنونًا مختلّ العقل . . فهو يقوم من لحظة لأخرى بحركات مضحكة بوجهه ويديه . . ويمسح اللعاب من فمه بمنديل . . وتتشنّج رقبته ونظراته بطريقة غريبة . . وينطق الكلمات بطريقة هجائية طفولية) .

أريداوس : (يرتمى على فراش الإسكندر) أخى . . حبيبى (ينظر إلى الموجودين) لماذا لا يقوم أخى من فراشه لماذا لا يتكلم . . لماذا لا يهنئنى بالإمبراطورية . . لماذا لا يعطينى تالنتا فضيًّا كما كان يفعل فى مقدونيا كلّ يوم . . ومن الذى سيعطينى التالنتات الفضية لأحوشها فى حصّالتى بعد اليوم ؟

(يقوم بتشنّجات مضحكة بعضلات وجهه ويديه . يدير القوّاد والجنود وجوههم خزيًا . .
العرّافون الذين يقفون فى مقدمة المسرح أمام فراش الإسكندر يتأملون حركاتِ أريداوس المضحكة وينظرون لبعضهم بعضًا فى دهشة . . كبيرهم يتنحى جانبًا من المسرح ليهمس لنفسه فى نبرات رهيبة :

– أهذه هى النهاية ؟!
أمن أجل هذا حاربنا اثنتى عشرة سنة !
أيتها النجوم العلوّية ما أعجب ما تدوّنين فى دفترك السماوىّ .

(الختام)

رقم الإيداع		١٩٨٩ / ٨٨١٦
الترقيم الدولى	٩٧٧-٠٢-٢٨٠١-X	ISBN

١ / ٨٩ / ١٧٧

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

هذه المجموعة

تحرص دار المعارف دائما على تقديم الأعمال الكاملة لكبار المفكرين والأدباء. والدكتور مصطفى محمود واحد من هؤلاء الذين أخلصوا للقلم.. فأثرى ساحة الفكر والعلم.. وطَرَقَ أبوابًا جديدة لم تفتح من قبل.. فتنوع إنتاجه بين القصة والرواية والمسرحية وأدب الرحلات.. إلى جانب تلك المؤلفات التى تحفل بالنظرات المعاصرة للفكر الدينى والمقارنة بالنظرات العلمية الحديثة.. والتى لاتزال تثير مزيدًا من الجدل المفيد..

وقد امتد تأثير فكر الدكتور مصطفى محمود إلى القراء العرب من الخليج إلى المحيط كما ترجمت بعض أعماله إلى اللغات الأجنبية شاهدة بقدرته على العطاء المتميز المتنوع.

١٧٠٢٩ / ٠٤

ص
٢٠٠